محاورة أنس بن مالك رضي الله عنه

والحجاج بن يوسف الثقفي

ورسالتا أنس وعبدالملك

(دراسة بلاغية تداولية نقدية)

إعداد :

هاني عمر محمد غانم

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدمياط الجديدة

محاورة أنس بن مالك رضي الله عنه والحجاج بن يوسف الثقفي

ورسالتا أنس وعبد الملك (دراسة بلاغية تداولية نقدية)

هاني عمر محمد غانم

قسم البلاغة – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدمياط الجديدة

الإيميل : drhanyghanem@gmail.com

الملخص :

في بداية البحث إشارة إلى أهمية الموضوع، ودواعي دراسته، وخطة البحث ومنهجه.

ثم إطلالة موجزة على فني المحاورات والرسائل في العصر الأموي، والموقف الذي حدث بين أنس بن مالك والحجاج الثقفي، والمحاورة التي دارت بينهما في ذلك الموقف، وما تبعها من رسالتي أنس بن مالك وعبدالملك بن مروان.

ثم تحليل بلاغي نقدي لمدخل الراوي للمحاورة، والمحاورة، كشف عن الجوانب البلاغية، وأسرارها الفنية، ودقة الراوي والمتحاورين في اختيار الأساليب البلاغية واللغوية المناسبة، وفي سياق ذلك بعض التحليلات اللغوية والنحوية؛ للكشف عن جماليات القيم البلاغية وأسرارها.

ثم دراسة تداولية لمدخل الراوي والمحاورة، من خلال إجراء الأسس التداولية والمسلمات التي وضعها (بول غرايس)؛ للكشف عما في تقديم الراوي والمحاورة من تلك الأسس التداولية، وما فيها من إيجابيات وسلبيات.

ثم تحليل بلاغي ونقدي لرسالة أنس إلى عبدالملك بن مروان، والرسالة التي رد بها عبدالملك عليه؛ للكشف عن جماليات القيم البلاغية فيهما، وما انطوت عليه من روائع مضمونية وفنية، وفي سياق ذلك بعض التحليلات اللغوية والنحوية والفنية، الكاشفة عن دقة صاحبي الرسالتين في استخدام القيم البلاغية، وتمكنهما من التعبير الدقيق عن مضمون الرسالتين، والحالة النفسية لكل منهما.

وفي نهاية البحث موجز له، وسرد لنتائجه.

وفي البحث توازن دقيق بين الجانبين: النظري، والتطبيقي، وإفادة من آراء ونظرات البلاغيين والنقاد والنحويين واللغويين ، وبعض الآراء والنظرات الشخصية ، من أجل القيم البلاغية، وأسرارها الفنية والمضمونية، ومظاهر البيان الراقي، والأسلوب الدقيق، والأسرار التداولية، في تقديم الراوي والمحاورة.

الكلمات المفتاحية : محاورة – أنس – مالك – بلاغة

The dialogue of Anas bin Malik and Al-Hajjaj bin Youssef Al-Thaqafi and the letters of Anas and Abdul Malik, a critical rhetorical study

Hani Omar Mohamed Ghanim

Department of Rhetoric - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in New Damietta

Email: drhanyghanem@gmail.com

(Abstract):

The beginning of the research is a reference to the importance of the topic, thereasons for its study, the plan and the approach of the research.

Then there was a brief overview of the conversation and letters of the Umayyad era, the situation between Anas Ben Malik and the cultural pilgrims, the dialogue between them in that situation, and the subsequent letters of Anas Ben Malik and Abdulmalik Ben Marwan.

Then a critical rhetorical analysis of the narrator's entrance to the dialogue, and the dialogue, which revealed the rhetorical aspects, their technical secrets, the accuracy of the narrator and interlocutors in choosing appropriate rhetorical and linguistic methods, and in the context of some linguistic and grammatical analyses; To reveal the aesthetics and secrets of rhetorical values.

Then a deliberative study of the narrator's entrance and dialogue, through the procedure of the deliberative and Muslim foundations laid down by Paul Grace; To uncover the presentation of the narrator and the interviewer from these deliberative bases, the pros and cons.

Then a rhetorical and critical analysis of Anas's letter to Abdulmalik bin Marwan, and the letter to which Abdullah replied; To uncover the aesthetic of rhetorical values in them, and their substantive and artistic masterpieces.

In this context, some linguistic, grammatical and technical analyses reveal the accuracy of the authors in the use of rhetorical values and enable them to accurately reflect the content and psychological state of the letters.

At the end of the research, it is summarized, and its results are recounted.

The research has a delicate balance between the two: theoretical, applied, benefiting from the views and views of the Rhetorians, Critics, Linguists and Linguists, and certain personal opinions and views, for rhetorical values, their artistic and substantive secrets, their expressions of high-level statement, and their precise style, and deliberative secrets, in the presentation of the narrator and the interviewer.

Keywords: Dialogue - Anas - Malik - Rhetoric

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

تراثنا الأدبي حافل بالرسائل الأدبية البليغة، والمحاورات الدقيقة، في مجالات وموضوعات متعددة، من أهمها: النصح والإرشاد، وحسن التوجيه، والوصايا، والشكوى، وأمور الدين، وأمور السياسة، وغيرها.

وتراثنا الأدبي في مجال النثر الأدبي بشكل عام، وفني الرسائل والمحاورات بشكل خاص، يدفع إلى القراءة فيه، والاطلاع عليه، والإفادة مما فيه من نصائح وتوجيهات ووصايا وحكم ، وغيرها، بالإضافة إلى الاستمتاع بأساليب أسلافنا العظماء في الرسائل والمحاورات، وهي أساليب بليغة فصيحة، تمتع القارئ، وتثير وجدانه، وتحرك مشاعره، وتجذبه إلى مواصلة قراءة تلك الرسائل والمحاورات، والإفادة منها مضمونيًا وفنيًا.

كما أن ذلك التراث الأدبي بما حواه من فنيات وجماليات بلاغية ولغوية ونحوية وفنية ومضمونية، يغري بالبحث والدراسة، ويدفع الباحثين المتخصصين إلى تقديم دراسات جادة هادفة فيه، تكشف كل منها عن جانب جمالي فيه، كل في مجال تخصصه، ولذلك ليس غريبًا أن نجد العديد من البحوث والكتب والدراسات التي تناولت ذلك التراث النثري بالدراسة والتحليل، ومن بينها الدراسة التي يتضمنها البحث الذي بين أيدينا.

والعصر الأموي من العصور الأدبية التي ازدهر فيها النثر بفنونه المختلفة، وعلا فيه شأن الرسائل والمحاورات بشكل خاص، بعد إنشاء ديوان

الإنشاء، وقيام عدد من الكتاب البارزين على أمره، وكذلك وجود جمع من الأدباء والعلماء ورجالات الدولة، الذين نهضوا بفني الرسائل الأدبية والمحاورات، على اختلاف ألوانها وموضوعاتها ، إضافة إلى وجود الدواعي والأسباب الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تستدعي كتابة الرسائل فيها، وإجراء المحاورات حولها، وتناول أحداثها ومظاهرها في تلك الرسائل والمحاورات، فترك لنا العصر الأموي–لكل ذلك– ذخرًا هائلًا في هذين الفنين النثريين، نستمتع بقراءته الآن، ونفيد منه ، وندرسه في دراسات بلاغية ، ولغوية، ونحوية، ونقدية ، وفنية، وتداولية.

ومن بين ذلك التراث المحاورة التي دارت بين أنس بن مالك والحجاج بن يوسف الثقفي، والرسالتان اللتان ترتبتا عليها من أنس لعبدالملك ومن عبدالملك إلى أنس، والتقديم البديع لذلك كله من الراوي، وما حواه ذلك من جماليات مضمونية، ونكات بلاغية، وأسرار لغوية ونحوية وفنية وتداولية.

كل ذلك قد جذبني إليه جذبًا ، وأثر في مشاعري، وأثار أحاسيسي، بما فيه من محتوى مضموني بديع، وجماليات فنية وأسلوبية رائعة، فاندفعت إلى تناول تلك المحاورة، والرسالتين اللتين ترتبتا عليها، وتقديم الراوي لها بالبحث والدراسة، والتحليل البلاغي والنقدي واللغوي والنحوي والفني والتداولي؛ للوقوف على ما حوته المحاورة والتقديم لها والرسائل من روائع مضمونية، وبدائع أسلوبية وبلاغية، نتجت عما فيها من أسرار لغوية ونحوية وفنية وتداولية.

وقد اقتضت دراسة المحاورة والتقديم لها والرسالتين، وتحليلهما من خلال تلك الجوانب أن أسير في البحث على الخطة الآتية:

المقدمة: وفيها بينت أهمية الموضوع، ودواعي دراسته، وخطة البحث، وأهم معالم المنهج الذي سرت عليه في البحث.

التمهيد: وفيه إطلالة موجزة على فني الرسائل والمحاورات، وقصة أنس بن مالك مع الحجاج، والمحاورة التي دارت بينهما، والرسائل التي ترتبت عليها، والحافز على الوقوف أمام المحاورة والرسائل وتداعياتها بالتأمل والدراسة والتحليل، وقدمت نص المحاورة والرسائل، وما نتج عنهما من تداعيات أخرى، ونسبة الرواية وتوثيقها، وما فيها من اختلافات بين الرواة.

المبحث الأول: التحليل البلاغي والنقدي.

وفيه قمت بتحليل بلاغي نقدي لمدخل الراوي للمحاورة، ومحاورة أنس بن مالك والحجاج، التي وقعت قبل كتابة الرسائل، وقد أوضحت في ذلك التحليل الجوانب البلاغية، وأسرارها الفنية، ودورها في بلاغة الأسلوب ودقته، وفطنة الراوي والمتحاورين ودقتهما في اختيار الأساليب البلاغية واللغوية المناسبة، وفي ثنايا ذلك قدمت بعض الرؤى والنظرات النقدية، واعتمدت على بعض التحليلات اللغوية والنحوية؛ للكشف عن جماليات القيم البلاغية، وأسرارها، ودورها في دقة الأسلوب وروعته في مظاهره المختلفة.

المبحث الثاني: الدراسة التداولية.

وفيه ألقيت الضوء على المحاورة التي دارت بين أنس والحجاج،

ودواعيها، وتداعياتها، وتقديم الراوي لها، من خلال إجراء الأسس التداولية والمسلمات، التي وضعها(بول غرايس) لمبدأ التعاون الذي رسخه عند تداولية الخطاب؛ للكشف عما في التقديم والمحاورة ، وتداعياتها من تلك الأسس التداولية، وما فيها من إيجابيات وسلبيات، في ذلك الجانب المهم من الدراسة والبحث.

المبحث الثالث: تحليل رسالة أنس ورد عبدالملك عليه.

وفيه قدمت تحليلًا بلاغيًا دقيقًا للرسالتين، معتمدًا فيه–أيضا– على إيضاح بعض الأسرار اللغوية والنحوية والفنية؛ للكشف عن جماليات القيم البلاغية في الرسالتين، وما انطوت عليه الرسالتان من روائع مضمونية وأسلوبية، وبيان قدرة صاحبي الرسالتين على اختيار الأسلوب المناسب، والتعبير الدقيق الموحي، ودقتهما في استخدام القيم البلاغية المؤثرة، والكاشفة في وضوح عن غايتهما، والموضحة لتمكنهما من التعبير الدقيق عن مضمون الرسالتين، والحالة النفسية لكل منهما، برغم الإيجاز الواضح في الرسالتين.

تعقيب: وفيه أشرت بإيجاز إلى أبرز الخصائص البلاغية التي ترتبت على تحليل المحاورة والرسالتين.

الخاتمة: وفيها إشارة موجزة إلى مضمون البحث، ثم سرد النتائج التي ترتبت على دراسة موضوعه وعناصره.

الفهارس الفنية للبحث.

وفي ثنايا ذلك كله كنت حريصًا على ما يلي:

- بيان معاني بعض المفردات اللغوية.

- الإشارة إلى تعريف وإيضاح ما ورد في سياق المحاورة والرسالتين من قيم بلاغية، ودورها الأسلوبي والمعنوي، وكذلك إيضاح بعض القواعد النحوية واللغوية التي وردت في سياق البحث؛ خدمة للقيم البلاغية، واستكمالًا لغايات البحث.
- تحليل ما ورد في سياق المحاورة، والتقديم لها والرسالتين من القيم البلاغية، والأسرار اللغوية والنحوية والفنية والتداولية، مع الإشارة إلى ما قد يكون من خلاف بين البلاغيين والنحويين واللغويين أحيانا.
- الإفادة من آراء ونظرات البلاغيين والنقاد واللغويين والنحويين قديمًا وحديثًا؛للكشف عن جماليات القيم البلاغية، والجوانب المضمونية والفنية في المحاورة والتقديم لها والرسالتين.
- إجراء بعض موازنات بين آراء البلاغيين والنقاد والنحويين واللغويين، وأساليب المتحاورين والكاتبين، كلما دعت الضرورة.
- إضافة بعض الآراء والنظرات الشخصية في ثنايا البحث، ومناقشة ما ورد فيه مناقشة دقيقة، ودعم ذلك بالأدلة والحجج والبراهين.
- اللجوء–في مواضع من البحث– إلى التحليل اللغوي والنحوي والفني والتداولي؛ لأهمية تلك الجوانب في الكشف عن جماليات القيم البلاغية، التي تضمنتها المحاورة والتقديم لها والرسالتين، وأسرارها ودواعيها، وبيان قدرة المتحاورين في التحاور الدقيق البليغ، وقدرة الكاتبين في كتابة الرسائل البليغة المؤثرة.
- العودة إلى المصادر الأصيلة والمراجع المهمة وتوثيق ذلك كله؛ حرصًا على الأمانة العلمية، والدقة في البحث.

وأشير إلى أن هناك رسالة أخرى لعبدالملك بن مروان أرسلها إلى

الحجاج بن يوسف، عقب رسالة أنس إليه، وما تضمنته من شكوى أنس، لكني رأيت عدم عرضها بالتحليل في البحث لأسباب منها:

١- الرسالتان المتبادلتان بين أنس بن مالك وعبدالملك بن مروان نتجتا عن المحاورة مباشرة ، ويتعلقان بها وبمضمونها.

٢- ارتبطت الرسالتان بالأثر النفسي من المحاورة، الذي ظهر في نفس أنس بعدها، وتجلى ذلك الأثر في رسالته، وحاول عبدالملك في رسالته إلى أنس التسرية عنه، وتخفيف ذلك الأثر النفسي، والاحتفاظ له بمكانته ومنزلته، كوسيلة للتسرية عنه.

٣- رسالة عبدالملك إلى الحجاج نتجت عن الشكوى الضمنية، التي أشارت إليها رسالة أنس إلى عبدالملك، وما عكسته تلك الشكوى من أثر نفسي أثر في عبدالملك-أيضا- فعلاقة رسالة عبدالملك إلى الحجاج بالمحاورة قد تبدو بعيدة إلى حد ما.

٤- رسالة عبدالملك إلى الحجاج طويلة إلى حد ما، وتحليلها في سياق البحث سيزيد من حجمه كثيرًا، وقد لا يتناسب ذلك الحجم مع ضوابط النشر في المجلات العلمية المحكمة.

٥- من وجهة نظري القاصرة، أرى أن رسالة عبدالملك إلى الحجاج تقتضي بحثًا مستقلًا، يحللها تحليلًا دقيقًا مستفيضًا، ويبرز جوانبها المضمونية والفنية بوضوح، ويكشف عما تحمله من تهديد ووعيد، ربما لم يكونا متوقعين من عبدالملك، ودقة أسلوب عبدالملك في التعبير عن تهديده ووعيده للحجاج، وكذلك كشف ما في أسلوب تلك الرسالة من أسرار فنية، وطريقة تعبيرية دقيقة، واختيار دقيق للألفاظ والعبارات، ما عبر عن ضيقه من صنيع الحجاج مع أنس، وكشف عن تهديده ووعيده له بوضوح تام، وما عكس مقدرته

البيانية والأسلوبية في التوافق الدقيق بين أسلوبه في تلك الرسالة، ومضمونها، وغايته من ورائها.

٦- وحتى لا يتحول البحث من إبراز للمعاني الحميدة، والخصال الطيبة إلى إبراز للخصومة، وسيكون النقد للمحتوى وليس للقواعد البلاغية، والمعاني التي استخرجت، وعلى ذلك ابتعد البحث قدر المستطاع عن التعمق في تحليلها؛ وذلك حتى لا يضع القارئ رغمًا في دائرة الجدل والأخذ، وإن كان البحث قد استشهد في ثنايا التحليل بكثير مما ورد فيها، وذلك تجنبًا للجور والظلم في إصدار الحكم؛ لأن هؤلاء الأعلام قدموا للدين ما لن يسعنا تقديم معشاره.

وأرجو -بعد ذلك- أن يكون البحث قد حقق الغاية من ورائه، وكشف بوضوح عما في المحاورة، والتقديم لها، وما نتج عنها من رسائل، من مظاهر الفصاحة والبلاغة، والأسرار اللغوية ، والنحوية ، والفنية، والتداولية، ودقة المتحاورين والكاتبين في استخدام الأساليب المناسبة، بلاغيا ولغويًا، ونحويًا، وأن يكون عرض البحث بعناصره المختلفة قد اتسم بشيء من الدقة ، والإحكام، والوضوح، والتنظيم الدقيق، في جانبيه: النظري، والتطبيقي، وأن يكون في البحث ما يشفع لصاحبه في دراسة موضوعه، وتناول عناصره وجوانبه بالدراسة والتحليل، وما يشير إلى دقة البحث وجودته.

تمهيد البحث:

حيث يتناول البحث بالدراسة والتحليل المحاورة التي دارت بين أنس بن مالك والحجاج الثقفي، وما شهدته من حجاج وجدال ، وما اتسمت به من البلاغة والفصاحة، وقدرة كل من المتحاورين على التعبير الدقيق، وتمكنه من الجدال والرد المناسب، ودقة عرض رأيه ووجهة نظره، برغم اختلاف الغايات والأهداف، وطريقة الأسلوب، ونظرة كل من المتحاورين للآخر.

وحيث يتناول البحث بالدراسة والتحليل –أيضا– رسالتي أنس وعبدالملك اللتين نتجتا عن تلك المحاورة، وما اتسمت به من البلاغة والفصاحة، ورقي البيان، والإيجاز مع الإيفاء بحق المعنى واستيفائه، والتعبير الدقيق المناسب عن الغاية والهدف، وتقدير كل من الكاتبين للآخر، واحترام مكانته، وإنزاله منزلته.

وكذلك ما شاع في المحاورة والرسائل من القيم البلاغية واللغوية والنحوية، والفنية الدقيقة والمناسبة، وما ظهر في أسلوبها من روعة بيانية ، وجمال أسلوبي، ودقة تعبير، مع مناسبة ذلك كله للمضمون، وغايات كل من المتحاورين والكاتبين، مما أدى إلى وضوح المعنى، وكشف غاية وهدف كل طرف منهما في جلاء.

كل ذلك وغيره مما يتراءى في المحاورة والرسالتين ، وسيكشف عنه البحث في سياقه بوضوح ، يؤكد أن فن الرسائل والمحاورات قد خطا كل منهما خطوات على طريق التطور والازدهار في العصر الأموي، لما شهده ذلك العصر من بواعث ودوافع ساعدت على ذلك، ومن أبرزها:

- الصراعات السياسية بين الأحزاب التي ظهرت في ذلك العصر، وما بينها من خصومات سياسية، وجدال ونقاش وصراع حول أمور السياسة ومشكلاتها وأحداثها، وقضية الخلافة ، ومن يستحقها.
- العصبيات القبلية التي عادت إلى الظهور، واحتدمت الصراعات

فيها بين القبائل العربية.

- الوضع الاجتماعي ، ومظاهره المختلفة، وبروز النظام الطبقي فيه، وما نتج عن ذلك النظام من خلافات وصراعات.
- ألوان الثقافة المتعددة التي شهدها ذلك العصر، وأثرت بشدة في الأدب شعرًا ونثرًا.
- ما اتسم به رجالات الدولة والعلماء والوجهاء وغيرهم في ذلك العصر من الفصاحة والبلاغة، وقوة البيان، والقدرة اللغوية، والتمكن من الأسلوب البليغ الراقي.
- ما شهدته الحياة الدينية من محاورات ومناظرات ورسائل حول أمور الدين، وتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه.
- الجرأة والحرية التي تمتع بها كثيرون من أهل العصر الأموي في التعبير عن آرائهم ومواقفهم تعبيرًا أدبيًا دقيقًا راقيًا.

وغير ذلك من مظاهر الحياة وأحداثها في العصر الأموي.

كل ذلك ساعد على تطور النثر الأدبي في ذلك العصر بشكل عام، وتطور فن المحاورات والرسائل وازدهارهما بشكل خاص؛ لارتباطهما بالمشكلات والقضايا والمظاهر والأحداث التي شهدها العصر الأموي في مختلف جوانب الحياة، مما ساعد على أن تتوافر فيهما سمات فنية ومضمونية واضحة، نشير إلى بعضها هنا بإيجاز، ومنها:

- الإيجاز في موضع الإيجاز ، والإطناب في موضع الإطناب، مع دقة العبارة، وروعة التصوير، والكشف عن المراد بوضوح.
- استخدام القيم البلاغية استخدامًا جيدًا، وفي مواضعها المناسبة، مما ساعد على وضوح المعنى، وكشف غايات أطراف المحاورات والرسائل بوضوح،وترجمة ما قصدوا إليه ترجمة دقيقة.
- مقارعة الحجة بالحجة في أسلوب هادئ بناء، يعكس قدرة كل طرف في المحاورات والرسائل على الحجاج والجدال، والتأثير في

الطرف الآخر وإقناعه، وكذلك التأثير على المتلقين للمحاورات والرسائل في كل مكان وزمان.

- السلامة اللغوية والنحوية، وعدم مفارقة قواعد اللغة والنحو في أسلوب التحاور والرسائل، فجاءت أساليبهم فيها قوية دقيقة محكمة ، متسمة بالصحة والسلامة.
- القدرة على اختيار المفردات اللغوية المناسبة ، والدقة في وضع تلك المفردات في سياقها الصحيح في الجمل، وكذلك الدقة في وضع تلك الجمل في سياقها الصحيح، فزادت من روعة المحاورات والرسائل ودقتها وإحكامها، وقوة تأثيرها في المتلقين.
- التنوع في المعاني والأفكار طبقًا للموضوعات، ووفقًا للغايات والأهداف، وإحكام الصياغة مع تنويع الوسائل البيانية والفنية فيها ؛ للتأثير في الطرف الآخر في المحاورة وفي الرسائل، وكذلك قوة التأثير في المتلقين وإمتاعهم.
- حسن التقديم والختام في الرسائل، وتناسبهما مع شخصية المرسل منه والمرسل إليه، وإنزال كل طرف منزلته المستحقة.
- الاستشهاد بالشعر والحكم والأمثال-أحيانا- في المحاورات والرسائل؛ لدعم المضمون وتأكيده، والتأكيد على بعض المعاني والأفكار وإيضاحها، والتأثير في المتلقين.
- الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وقيم الإسلام وتعاليمه-أحيانا- لإبراز ما هدف إليه كل طرف في المحاورات والرسائل، وإيضاح غايته، وتأكيد المعاني والأفكار.
- الاتكاء على بعض الأحداث التاريخية السابقة، أو المعاصرة- أحيانا- لدعم رؤية كل طرف، وتأكيد وجهة نظره في المحاورات والرسائل، ومحاولة التأثير في الطرف الآخر وإقناعه، واستمالته.
- التأثر بألوان الثقافات المختلفة التي شهدها العصر الأموي، سواء

في ذلك الثقافة الإسلامية الدينية، والثقافة العربية على اختلاف ألوانها، والثقافات الأجنبية ، وظهر أثر تلك الثقافات واضحًا في محاورات ورسائل ذلك العصر.

- توجيه النصح والإرشاد-أحيانًا- من كل طرف في المحاورات والرسائل؛ للعظة والاعتبار، التأثير في الطرف الآخر لإقناعه، واستمالته، ومحاولة إرجاعه عن غايته وهدفه، الذي قد يكون غير صحيح، أو غير منطقي.
- تعدد مجالات المحاورات والرسائل، وتنوع موضوعاتهما، نتيجة لما شهده العصر الأموي من مظاهر وأحداث وصراعات وخصومات في مختلف جوانب الحياة، فعكست الرسائل والمحاورات قدرة كل طرف فيهما على الخوض بهما في كل المجالات والميادين والموضوعات ، في براعة ودقة واقتدار.
- تلك بعض السمات التي اتسمت بها المحاورات والرسائل في العصر الأموي، وسوف تتضح تلك السمات المشار إليها هنا، وسمات أخرى في سياق البحث، من خلال تحليل المحاورة والرسالتين اللتين نتجتا عنها، لاسيما رسالةُ أنس بن مالك – رضي الله عنه – إلى عبد الملك بن مروان – الخليفة الأموي – يشكو فيها الحجاج بن يوسف الثقفي، فكانت كالصاعقة التي حلَّت بخليفة المسلمين، كيف يشكو خادم الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث إنها من الرسائل التي أصابتْ غرضَها، وحملتْ مُرادَ صاحبها وبلَّغتْه إلى المرسَل إليه.

هذا، وقد أوردَتْ كتبُ التاريخ والسِّيَر قصة الحجاج بن يوسف الثقفي مع سيدنا أنسٍ بن مالك – رضي الله عنه –، فاشتاقت النفسُ إلى مجاورة أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والتأمل في حُسْنِ ردِّ الإساءة بالإحسان، واللين في المواضع التي

يكون فيها هو موضع الاستحسان، والحكمة في إعطاء القَدْرِ لذي القَدْرِ والمكان.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني:

"حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْن القَاسِم الأنبَارِيّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عبيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّد بْن السّائب الْكَلْبِيّ عَنْ عَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ الْكَلْبِيّ قَالَ: دَخَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ – رضي الله عنه – عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِيهٍ يَا أُنَيْسُ، يَوْمٌ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ، وَاللَّهِ لأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ(١)، وَلأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ(٢).

فَقَالَ أَنَسٌ: إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ – أَصْلَحَهُ اللَّهُ –؟ فَقَالَ: إِيَّاكَ – سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ(٣) –.

---

(١) **اللغة: تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ:** استأصل الله شَأْفَتَه، الشَّأْفة: قرحة تكون أسفل رِجل الإنسان، وفي خف البعير، أي: اقتلع الله ماله كما تُسْتأصل الشأفة وهي تقطع بحديدة، ويقال: شَئِفَت رجله، تشأَف شأفا، والاسم الشَّأفة، والجمع، شَأَفات وشأْفات .**لسان العرب**– لابن منظور (٤/٢١٧٤) تحقيق: عبدالله على الكبير وآخرون– دار المعارف– القاهرة._ **والمزهر في علوم اللغة وأنواعها** – للسيوطي تـ ٩١١هـ (٢/ ٢٣٢)تحقيق: فؤاد علي منصور– دار الكتب العلمية– بيروت– ط: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) **تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ:** لأقلعنك قلع الصمغة، يُرِيد: لأستأصلنك، **والصمغ:** إِذا قلع انقلع كُله فلا يبْقَ لَهُ أثر؛ وَلذَلِك يُقَال: تَركتهم على مثل مقلع الصمغة، ومقرف الصمغة، إِذا لم يبْق لَهُم شيء إِلَّا ذهب، وَمثله: تركته انقى من الرَّاحَة، هَذَا كُله وَاحِد. **غريب الحديث لابن قتيبة** – لابن قتيبة الدينوري تـ ٢٧٦هـ(٣/٧١٠) تحقيق: د/ عبد الله الجبوري– مطبعة العاني – بغداد، ط: الأولى، ١٣٩٧م.

(٣) **سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ:** قَالَ القَاضِي: قَول الْحجَّاج: "سك الله سَمعك يُقَال: استكت الأذنان، واصطكت الركبتان". **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي** –لأبي الفرج النهرواني تـ ٣٩٠هـ(٤٩١) تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي– دار الكتب العلمية، ==

قَالَ أَنَسٌ: إنّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، وَاللَّهِ لَوْلا الصِّبْيَةُ الصِّغَارُ، مَا بَالَيْتُ أَيَّ قِتلةٍ قُتِلْتُ، وَلا أَيَّ مِيتةٍ مِتُّ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدَ الْحَجَّاجِ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ كِتَابَ أَنَسٍ اسْتَشَاطَ غَضَبًا، وَصَفَّقَ عَجَبًا، وَتَعَاظَمَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَجَّاجِ.

وَكَانَ كِتَابُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لِي هجْرًا، وَأَسْمَعَنِي نُكْرًا، وَلَمْ أَكُنْ لِذَلِكَ أَهْلا.

فَخُذْ لِي عَلَى يَدَيْهِ، فَإِنِّي أَمُتُّ بِخِدْمَتِي رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَصُحْبَتِي إِيَّاهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، وَكَانَ مُصَادِقًا لِلْحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهُ: دُونَكَ كِتَابيّ هَذَيْنِ فَخُذْهُمَا وَارْكَب الْبَرِيدَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَابْدَأْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَادْفَعْ كِتَابَهُ إِلَيْهِ، وَأَبْلِغْهُ مِنّي السَّلامَ.

وَقُلْ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ الْمَلْعُونِ كِتَابًا إِذَا قَرَأَهُ؛ كَانَ أَطْوَعَ لَكَ مِنْ أَمَتِكَ.

وكَانَ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

==

بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

أَمَّا بَعْدُ،

فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَكَاتِكَ لِلْحَجَّاجِ، وَمَا سَلَّطْتُهُ عَلَيْكَ، وَلا أَمَرْتُهُ بِالإِسَاءَةِ إِلَيْكَ، فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَاكْتُبْ إِلَيَّ بِذَلِكَ أُنْزِلْ بِهِ عُقُوبَتِي، وَتَحْسُنْ لَكَ مَعُونَتِي، وَالسَّلامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ كِتَابَهُ، وَأُخْبِرَ بِرِسَالَتِهِ قَالَ: جَزَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي خَيْرًا، وَعَافَاهُ وَكَافَأَهُ عَنِّي بِالْجَنَّةِ، فَهَذَا كَانَ ظَنِّي بِهِ وَالرَّجَاءَ مِنْهُ.

نسبة الرواية وتوثيقها:

أورد هذه الرسالة أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني[١]، وتبعه أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) في مُؤلفه تاريخ دمشق[٢]، وأوردها جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، في مُؤلفه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك[٣]، وتبعهم في إيرادها عمر بن أحمد ابن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، في مؤلفه بغية الطلب في تاريخ حلب[٤]، ثم ذكرها جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، في مختصره لتاريخ دمشق[٥]، وذكرها أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: ٧٧٤هـ) في البداية والنهاية[٦].

---

(١) **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي** (٤٩١).

(٢) **تاريخ دمشق لابن عساكر** تـ٥٧١هـ (١٢/ ١٧١) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٣) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** – لجمال الدين أبو الفرج الجوزي تـ ٥٩٧هـ(٦/ ٣٣٧)تحقيق:محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤) **بغية الطلب في تاريخ حلب** –لعمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي تـ ٦٦٠هـ(٥/ ٢٠٥٢)تحقيق: د/ سهيل زكار- دار الفكر، بلا تاريخ.

(٥) **مختصر تاريخ دمشق** – لمحمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور تـ ٧١١هـ (٦/ ٢١٩) تحقيق: روحية النحاس، وآخرون- دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.

(٦) **البداية والنهاية** – لابن كثير تـ ٧٧٤هـ(٩/ ١٣٣) دار الفكر- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

وقد ذكرها كل هؤلاء الأعلام في مؤلفاتهم من طريق واحد، وإسنادهم هو: عن الْمُعَافَى ابْنُ زَكَرِيَّا الْجُرَيْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ طرار الْبَغْدَادِيُّ، عن مُحَمَّد بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيّ عن أَبِيه عن أَحْمَد ابْن عُبَيْدٍ عن هِشَام أبي مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيّ عن عَوَانَة بْن الْحَكَمِ الْكَلْبِيّ.

لذا لن تجد اختلافًا بين الروايات التي أوردها هؤلاء الأعلام؛ فلاتفاق السند اتحد المتن.

وقد وردت بلفظ آخر وصيغة أخرى لكن من دون إسنادٍ، فقد أورد الإمام أحمد بن يحي بن جابر البلاذِرِيْ، (المتوفي سنة: ٢٧٩هـ)، هذه القصة في أنساب الأشراف، وفيها من التغيير الذي يجعل المتأمِّل يتفحص الكلام شيئًا فشيئًا، ليستبين ويستوضح مَنْ القائل؟، في بعض الجمل، وسيقوم البحث – إذا قدَّر الله – بالتوفيق بين الروايتين أثناء التحليل.

ومن الرواية التي أوردها البلاذري قوله: " فأتاه فلما دخل عَلَيْهِ قَالَ: لا مرحبًا ولا أهلًا، إيهٍ يَا خبيث، شيخُ ضلالةٍ جوَّالٌ فِي الفتن، مرة مَعَ أَبِي تراب، ومرة مَعَ ابْن الزُّبَيْرِ، ومرة مَعَ ابْن الجارود، أمَا والله لأُجَرِّدَنَّكَ جَرْدَ القضيبِ، ولأَعْصِبَنَّكَ عَصْبَ السَّلَمَة، ولأَقْلَعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْغَةِ، فَقَالَ أنسٌ: مَنْ يَعْنِي الأميرُ ؟!، قَالَ: إِيَّاكَ أَصَمَّ اللَّهُ صَدَاكَ، ...إلخ[1]".

وعلى الرَّغم من السند الذي ذكره أبو الفرج المعافي بن زكريا النهرواني في روايته، إلا أنَّ البحث سيعمل جاهدًا على الجمع بين الروايتين في

(١) **أنساب الأشراف** للبلاذري – لأحمد بن يحيى البَلَاذُري تـ ٢٧٩هـ(٧/ ٢٩٦)، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، عام النشر: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

تحليله بين رواية ابْنِ طرار الْبَغْدَادِيُّ، ورواية أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذريّ (المتوفى: ٢٧٩هـ)، حتى يتسنى عن طريق هذا الدمج الوصول إلى أقرب لفظ قيل ومعنى مراد.

التحليل البلاغي والنقديّ:

يقول الراوي:

"دَخَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ – رضي الله عنه – عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ".

استهل الراوي روايته بالأسلوب الخبري الخالي من التأكيدات، مستعملًا الفعل الماضي (دخلَ)، ولاستعماله خصيصة وفضيلة تميزه عن غيره من الأفعال التي تدل على لقاء شخص بآخر، كالمجيء، أو الإقدام، أو الحضور، أو الولوج وغيرها من الصيغ التي تدل على هيئة اللقاء، فاستعمل (دخل) لمعناها الذي تحمله بين طياتها وأشار إليه ابن فارس قائلًا:

"الدَّخَلُ: الْعَيْبُ، وَكَأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ عَابَهُ[١]".

وكأن الراوي يشير إلى أن هناك عيبًا في هذا الدخول، ثم أسند الفعل (دخل) إلى الفاعل وهو سيدنا أنسٍ بن مالك – رضي الله عنه – وجعله اسما ظاهرًا ؛ لتستشعر بداية الخلل الذي جعل الراوي ينتقي الفعل (دخل) دون غيره من الأفعال، فإبراز الفاعل (أنسٌ بن مالك)، أبرز أنَّ اللائق للرواية هو الفعل (دخل) إنه دخول ليس كغيره، ويشير إلى المعنى الذي يريده البحث الدكتور/ محمد حسن جبل إلى معنى (دَخَل)؛ ليبرز المعنى

(١) **معجم مقاييس اللغة** (٢/ ٣٣٥).

أكثر ويوضحه، فيقول:

"كل أمر لم يكن صحيحًا فهو دَخَل، الدَخَل: الدَغَل والخديعة والغش أي: تكون أيمانهم مدخولة مغشوشة ليست خالصة ولا صريحة[١]".

وكأن الراوي يشير بالفعل (دخل) إلى أنَّ القدْر والمكانة والصلة التي عليها سيدنا أنس ابن مالك – رضي الله عنه – برسول الله – صلى الله عليه وسلم –، أولى بهم أن يكونوا المِنْعة له والحماية لمقامه من أن يدخل هذا الدخول، فهذا الدخول غير صحيح وبه خلل؛ ولذلك عبَّر بالفعل (دَخَل) في جملة خبرية خالية من التأكيدات، وكأنّه يقول إذا شاهدت أنس بن مالك – رضي الله عنه – حين الدخول ستتأكد بمجرد مشاهدتك إياه أن هناك خللًا وعيبًا، وأنَّ هذا الأمر غير صحيح، فهذا الوقار وتلك الهيبة لا تدخل، بل يُضْرَبُ في سبيلها أكباد الإبل، ولعل هذا يكون شفاعة لتحظى بفرصة للقاء بهم، إنهم الأصحاب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ ولذلك عرض قوله خاليًا من التأكيدات.

وبالتأمل في خصائص الفعل (دخل)، وميزاته التي جعلت الراوي يستهل به روايته، نرى أنه من الأفعال المترددة بين التعدي واللزوم؛ ولهذا فضيلة تجعلك تحكم على الراوي بالفصاحة، وحُسْن انتقاء اللفظ الدال على مراده، وهذا التعمُّق داخل استهلال الراوي لعدة أمور، منها: **أوَّلًا:** لكي يسهل على البحث الحكم في الخاتمة بالصدق والفصاحة أو غيرهما على الراوية، **ثانيًا:** الحكم على استهلال الراوي، من ناحية مناسبته للغرض المقصود؟

---

(١) **المعجم الاشتقاقي المؤصل** لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)–د/ محمد حسن حسن جبل(٢/ ٦٣٨) مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

ثالثًا: الوقوف على مواضع التأنق في الكلام، هل كان طبعًا عند العرب أو عرضيًّا؟.

وعلى هذا فقد اختلف العلماء في تعدي الفعل (دخل) ولزومه، وإلى هذا يشير ابن السراج فيقول: "قد اختلف النحويون في: (دخلتُ البيتَ) هل هو متعدٍّ أو غير متعد؟، وإنما التبس عليهم ذلك؛ لاستعمال العرب له بغير حرف الجر في كثير من المواضع، وهو عندي غير متعد ، كما قدمناه ، وإنك لما قلت: دخلتُ، إنما عنيت بذلك انتقالك من بسيط الأرض ومنكشفها إلى ما كان منها غير بسيط منكشف، فالانتقال ضربٌ واحدٌ وإن اختلفت المواضع و(دخلت) مثل (غرتُ)، إذا أتيتَ الغور، فإن وجب أن يكون (دخلت) متعديًا وجبَ أن يتعدى (غرتُ) (١).

ودليلٌ آخر: أنك لا ترى فعلًا من الأفعال يكون متعديًا إلا كان مضاده متعديًا، وإن كان غير متعد كان مضادُهُ غير متعد... و(خرج) ضد (دخل)، و(خرج) غير متعد، فواجب أن يكون (دخل) غير متعد، وهذا مذهب سيبويه(٢)(٣)".

---

(١) الأصول في النحو – لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بـ: ابن السراج تـ ٣١٦هـ(١/١٧٠، وما بعدها)تحقيق: عبد الحسين الفتلي– مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) **يقول سيبويه:** "قال بعضهم ذهب الشامَ، يشبّهه بالمبهَم، إذ كان مكانًا يَقع عليه المكانُ والمذهبُ، وهذا شاذ؛ لأنّه ليس في ذهبَ دليل على الشام، وفيه دليلٌ على المذهبِ والمكانِ، ومثلُ ذهبت الشامَ: دخلتُ البيت". **الكتاب**– لسيبويه تـ ١٨٠هـ(١/ ٣٥) تحقيق: عبد السلام محمد هارون–مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٣) ثم يُعلِّق ابن السراج على قول سيبويه قائلًا: "قال سيبويه: ومثل: ذهبت الشام، دخلت البيت، يعني: أنه قد حذف حرف الجر من الكلام، وكان الأصل عنده: ذهبت إلى الشام ودخلت في البيت، وهما مستعملان بحروف الجر، فحذف حرف الجر، من حذفه ==

ولِلخَلَلِ الكائن بلقاء سيدنا أنسٍ بن مالك – رضي الله عنه – والحجاج بن يوسف الثقفي، استعمل الراوي الفعل (دخَلَ) للخصائص التي نالته وجعلت العلماء في حيرة من تحديد أمره إنْ كان متعديًا أم لازمًا؛ لذلك استهل به الراوي فأصاب باستهلاله ، وأنبأ عن الحالة النفسية التي تكتنف اللقاء، وفي استعماله حرف الجر (على) لتعدية الفعل إلى مفعوله في قوله:

"دَخَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ – رضي الله عنه – عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ".

فاستعمال الراوي لحرف الجر (على) لتعدية الفعل (دَخَل) إلى مفعوله (الحجاج بن يوسف)، يدل على أن سيدنا أنس دخل المكان والحجاج فيه؛ ولذلك قال: "دخل على"، وإلى هذا يشير الدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر في معجمه قائلًا: "دخَل عليه المكانَ: دخله بعده وهو فيه، دخل على صديقه، ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ** (١)﴾(٢)".

وكأنَّ الراوي يشير إلى أنَّ دخول سيدنا أنس – رضي الله عنه – كان عن طريق استدعاء ليس عن اختيار أو حاجة، وكأن الحجاج قد أعدَّ لهذا اللقاء عدته، فكأنه أراد لقاءه على هذه الحال، وقد أصاب الراوي في استعمال اللفظ اللائق وعدَّاه عن طريق حرف الجر المناسب ليدل على أشياء عِدّة، وكأن أنسًا – رضي الله عنه– قد أُجْبِرَ على هذا اللقاء.

فمعنى المعنى: وكأنَّ الحجاج بن يوسف الثقفي مضطجع على

==

اتساعًا واستخفافًا". **الأصول في النحو** (١/١٧١).

(١) **بعض آية من سورة آل عمران(رقم: ٣٧).**

(٢) **معجم اللغة العربية المعاصرة** – د أحمد مختار عبد الحميد عمر(١/ ٧٢٧) بمساعدة فريق عمل– عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

وسادته، ويجلس في مجلس الحكم والإمارة، يحيطه الوزراء والجلساء، عليه أُبَّهة الولاية، وإشراق السلطان والحُكْم، وسيدنا أنس – رضي الله عنه – داخلٌ عليه دخول المغصوب على هذا اللقاء، يعلوه زهد الصحابة، وفطنتهم، وذكاؤهم، وجرأتهم، وقوتهم في الحق وصلابتهم.

ثم اعترض(١) الراوي بقوله: "رضي الله عنه"، وفصل بين هذه الجملة الاعتراضية والجملة التي سبقتها وذلك لكمال الانقطاع بين الجملتين(٢)؛ لأن الجملة الأولى خبرية، والجملة الثانية إنشائية معنى – جملةٌ دعائية – خبرية لفظًا، فوجب الفصل بين الجملتين؛لأن الانقطاع لا يوهم خلاف المقصود.

أمّا من جهة كونها خبرية لفظًا وإنشائية معنى، فيمكن النظر إليها من جهتين:

الأولى: أن جملة (رضي الله عنه) جملة خبرية لفظًا ومعنى؛ لأن الرضا من الله على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد وقع حقًا وأخْبرَ به –سبحانه وتعالى– في أكثر من موضع في القرآن الكريم،

---

(١) **الاعتراض هو**: أن تذكر في البيت جملة معترضة، لا تكون زائدة، بل يكون فيها فائدة. **البديع في نقد الشعر** –لأسامة بن منقذ تـ ٥٨٤هـ(١٣٠)، تحقيق: د/ أحمد بدوي، د/حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى،–الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة– ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

(٢) **كمال الانقطاع**: فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه، الأول: أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً... أو معنى لا لفظًا، كقولك: مات فلان رحمه الله. **الإيضاح في علوم البلاغة**– للخطيب القزويني تـ ٧٣٩هـ(١/٢٥٠) تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي– دار الجيل– بيروت– ط: السادسة– ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ومن هذه المواضع قوله تعالى:﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١)﴾.

وقوله تعالى:﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (٢)﴾.

وقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ (٣)﴾.

وعلى هذا يكون الفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع؛ لعدم وجود الجامع بين الجملتين(٤)، وتلك حيطةٌ من الراوي ؛لأنه قصد الفصل لتلك العلة.

والجهة الثانية: أن جملة (رضي الله عنه)، جملة خبرية لفظًا، إنشائية معنى، وعلى هذا يكون الداعي إلى الفصل، اختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً معنى لا لفظًا، والغرض من الإتيان بالجملة الإنشائية في صورة خبرية ما قاله التفتازاني في مطوله: "ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء إمّا للتفاؤل، بلفظ الماضي على أنه من الأمور الحاصلة التي حقها أن يخبر عنها بأفعال

(١) **سورة التوبة** الآية (رقم: ١٠٠).
(٢) **سورة الفتح** الآية (رقم: ١٨).
(٣) **سورة البيّنة** الآية (رقم: ٨).
(٤) **ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة** (١/ ٢٥٠).

ماضية، كقولك: وفقك الله للتقوى، أو لإظهار الحرص في وقوعه[١]".

ثمَّ عرَّف بالمدخول عليه وهو (الحجاج بن يوسف الثقفي)، ثم لخص الراوي سلامَ أنسٍ بن مالك – رضي الله عنه – بأن أخبر عن سيدنا أنسٍ أنه قد سلَّم عليه، ولم يذكر الصيغة التي كان عليها السلام، (فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ)، ولعله أراد بإخباره عن السلام، أن سيدنا أنسٍ – رضي الله عنه – ألقى السلام وإن كان اللقاء لقاء تهديد وتوعُّد، وهذا هو صنيع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى في أصعب المواقف والظروف، لم يتخلوا عن المبادئ التي غرسها فيهم–صلى الله عليه وسلم –.

وعدم ذكر الراوي لصيغة السلام التي ألقاها سيدنا أنسٍ – رضي الله عنه – إرادته إبراز الحالة التي كان عليها اللقاء، وكأنه لقاء غير مرغوب فيه، ويدل على ذلك حرف العطف (الفاء)،

فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ".

ففي استعماله تأكيد على الخلل الكائن بهذا اللقاء، وقد أشار الدكتور/ محمد أمين الخضري إلى المعاني التي يصنعها حرف العطف (الفاء) فوق أنه للتعقيب، فيقول: "(الفاء) تلبس من أكسية المجاز ما تتنامى به معانيها، وتتكاثر إشاراتها بما تقصر عنه في حقيقتها، فتُضمر في أحشائها صفحة الزمن حينًا، وتمطُّها وتمطلها حينًا آخر، وتنشر ألوانًا من الترتيب بين الألفاظ والمعاني غير ما عُهِدَ فيها، وتقلب أوضاع الكلم ؛ لتعكس لك

(١) **ينظر: المطول** شرح تلخيص المفتاح –للعلامة سعد الدين التفتازاني تـ٧٩٢هـ (٤٣٢) تحقيق: عبد الحميد هنداوي–دار الكتب العلمية– لبنان–ط: الثالثة– ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

انقلاب الأوضاع في الواقع، واختلال الفكر والسلوك[١]".

فاستعمل الراوي حرف (الفاء) ليُدَلِّلَ من خلاله على انقلاب الأوضاع، ولينشر ألوانًا من الترتيب بين الألفاظ والمعاني غير المعهود فيها، وليقلب أوضاع الكلم ؛ ليعكس انقلاب الأوضاع في الواقع.

ثم يستعمل (لمَّا) التي تمتاز بتعدد المعاني في المواضع المختلفة، وإلى هذا قد أشار ابن مالك قائِلًا: "من حروف المعاني (لمّا) وهي في الكلام على ثلاثة أقسام...**والثالث:** أن تدل على وجوب شيء لوجوب غيره، ولا يلزمها إلا فعل ماض لفظا ومعنى، وهي حرف يقتضي فيما مضى وجوبًا لوجوب عند سيبويه، وظرف بمعنى (إذ) فيه معنى الشرط[٢]".

وبالتأمل في الموضع الذي جاءتْ فيه (لمَّا)، بدا جليًّا أنَّ ما بعدها فعل ماضٍ لفظًا ومعنى، (فلمَّا وقفَ) فهي ظرف بمعنى (إذْ)، فيه معنى الشرط يقتضي وجوبًا لوجوب، وفعل الشرط (وقفَ) وجوابه (سلَّمَ عليه)، وما في جملة (فلما وقفَ بينَ يديْه) من معنى المساءلة والإلزام، وعلى هذا قد جاء في الذكر الحكيم في قوله تعالى:﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ [٣]﴾.

ثمَّ يأتي الجواب بما يؤكد هذا الوقوف، بأن سلَّمَ سيدُنا أنس – رضي

---

(١) **من أسرار حروف العطف** في الذكر الحكيم (الفاء، ثمّ)، للدكتور: محمد أمين الخضري(١٠): مكتبة وهبة–ط: الأولى–: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) **شرح التسهيل– لابن مالك** تـ ٦٧٢هـ (٤/ ١٠٢) تحقيق: د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون– دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) **سورة الصافات** الآية (رقم: ٢٤).

الله عنه – على الحجاج، وأضمر الراوي صيغة السلام ، لكنه أخبر عنها بجواب الشرط إجمالًا.

ويدلل أكثر على أنَّ النفوس لم تكن على وِفَاق في هذا اللقاء ما استقبل به الحجَّاج الثقفي خادم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، حيث قال:

"إِيهٍ يَا أُنَيْسُ، يَوْمٌ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ، وَاللَّهِ لأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ، وَلأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ.

أمَّا في رواية البلاذري فيقول: **"فأتاه فلما دخل عَلَيْهِ قَالَ: لا مرحبًا ولا أهلًا، إيهٍ يَا خبيث، شيخُ ضلالةٍ جوَّالٌ فِي الفتن".**

فقد أغفل ذكر إلقاء السلام من سيدنا أنسٍ – رضي الله عنه – كما في رواية ابن الكلبي، وزاد قولًا للحجَّاج وهو: **"لا مرحبًا ولا أهلًا".**

وفي تصدير الجملة بـ (لا) النافية للجنس خصيصة، وهي أنَّ النفي بـ(لا) يكون لما بَعُدَ ويمتد معها معنى النفي، وفي هذا يقول أبو القاسم السهيلي: "لا يمتدْ معنى النفي فيها – يقصد: (لن) – كامتداد معنى النفي في حرف (لا)... فالألفاظ مشاكلة للمعاني التي هي أرواحها، يتفرَّس العاقل فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسه، كما يتعرف الصادق للفراسة، صفات الأرواح في الأجساد بنحيزة نفسه.

فحرف (لا)، لام بعدها ألف، يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضييق النّفَس، فإذًا امتداد لفظها بامتداد معناها، و (لن) بعكس ذلك، فتأمله فإنه معنى لطيف، وغرض شريف، ألا ترى كيف جاء في القرآن البديعِ نظمُه،

الفائق على كل العلوم علمُه: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1]، بحرف (لا) في الموضع الذي اقترن فيه حرف الشرط بالفعل، فصار من صيغ العموم، فانسحب على جميع الأزمنة، وهو قوله – عز وجل –: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

كأنه يقول: متى ما زعموا ذلك لوقت من الأوقات ، أو زمن من الأزمان، وقيل لهم: (تَمَنَّوُا الْمَوْتَ) فلا يتمنونه، وحرف الشرط دل على هذا المعنى، وحرف " لا " في الجواب بإزاء صيغة العموم، لاتساع معنى النفي فيها[3]".

وكأنه يريد بحرف النفي هذا أن يمتد زمان عدم الترحيب ، ويطول عهد الاستوحاش وعدم الاستئناس، ثم يكون المنفي وهو قوله: "مرحبًا" وفي معناها يقول ابن قتيبة:

"قَول النَّاس مرْحَبًا أتيْتَ رحبًا،أَي: سَعَة، وَقَوْلهمْ: أَهلًا، أَي: أتيت أَهلًا لَا غرباء ، فاستأنس وَلَا تستوحش، وسَهْلًا أَي: أتيت سهلًا لا حزنًا، وَهُوَ فِي مَذْهَب الدُّعَاء[4]".

وعلى هذا المعنى فقد وقع الخبر موقع الإنشاء، فالخبر في هذه الصورة مجاز؛ لاستعماله في غير ما وضع له، وقد يكون كناية عن الدعاء

---

(١) **بعض آية من سورة المنافقون**(رقم: ٧).

(٢) **بعض آية من سورة الجُمعة**(رقم: ٦).

(٣) **نتائج الفكر في النحو** – لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي تـ ٥٨١هـ(ص: ١٠١) دار الكتب العلمية– بيروت– ط: الأولى: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٤) **غريب الحديث**– لابن قتيبة (١/ ٤٨١).

على سيدنا أنسٍ – رضي الله عنه –، وإلى هذا المعنى قد أشار التفتازاني في مطوله(١).

واستنكر البحث قول الحجاج لسيدنا أنس – رضي الله عنه –: "**إيهٍ يَا خبيث، شيخُ ضلالةٍ جوَّالٌ فِي الفتن**". وارتضى ما جاء في رواية ابن الكلبي: "**إِيهٍ يَا أُنَيْسُ، يَوْمٌ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ، وَاللَّهِ لأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ، وَلأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ، فَقَالَ أَنَسٌ: إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِيَّاكَ، سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ، قَالَ أَنَسٌ: إِنّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، وَاللَّهِ لَوْلا الصِّبْيَةُ الصِّغَارُ، مَا بَالَيْتُ أَيَّ قِتلةٍ قُتِلْتُ، وَلا أَيَّ مِيتةٍ مِتُّ**".

وبالنظر إلى هذا الحوار من الوجهة البلاغية، فإن القاعدة البلاغية ستفصح عن كثير من المعاني التي تتوالد من نظم الجمل ومعانيها التي تحتملها، ففي قوله: "**إيهٍ يا أُنَيْس**".

عطف الراوي والتفت من الغيبة إلى التكلُّم، في قوله: "فقال"، فالعطف بـ (الفاء) التي تقلب الأوضاع رأسًا على عقب، والتي تتناسب مع تجاهُلٍ لردِّ السَّلام الذي أُلقِيَ على الحجَّاج، ليبتدِرَ سيدنا أنس – رضي الله عنه – بقوله: "**إيهٍ يا أُنَيْس**"، فالتفات الراوي إلى مقالة الحجاج ؛ ليجذب انتباه السامعين، ويدخلهم في جوِّ الرواية سريعًا، والالتفات من الألوان البديعية التي تساعد على زيادة التنبيه، وتجعل المتلقي في تيقُّظٍ دائم، وإلى هذا قد أشار الخطيب القزويني مستشهدًا بقول الزمخشري، فيقول الخطيب القزويني: "اعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجْهُ حُسْنِهِ على ما ذكر

(١) **ينظر: المطول** شرح تلخيص مفتاح العلوم، (ص: ٤٣٣)

الزمخشري هو: أن الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بلطائف[١]".

ويُزَادُ على ذلك ما أشار إليه ابن الأثير قائِلًا: "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب، لا يكون إلا لفائدة اقتضتها، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تُحَدُّ بحَدٍّ، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها، ليقاس عليها غيرها، فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب [٢]".

وبالتأمل في قوله: "**إيهٍ يا أُنَيْس**"، ترى أنَّ الحجاج ابتدر سيدنا أنَسٍ – رضي الله عنه – بقوله: "إيهٍ"، وهي اسم فعل أمرٍ بمعنى: استمر[٣]، وكأنَّ

---

(١) **الإيضاح في علوم البلاغة**(٢/ ٩١).

(٢) هكذا قال ابن الأثير بعد مناقشةٍ لقول الزمخشري، يقول فيها ابن الأثير: "ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب إنما يستعمل قصدًا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه، لا قصدًا لاستعمال الأحسن، وعلى هذا فإذا وجدنا كلامًا قد استعمل في جميعه الإيجاز، ولم ينتقل عنه، أو استعمل فيه جميعه الإطناب ولم ينتقل عنه، وكان كلا الطرفين واقعًا في موقعه، قلنا: هذا ليس بحسن؛ إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب، وهذا القول فيه ما فيه، وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة؟". **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** – لابن الأثير تـ ٦٣٧هـ (١٣٦/٢) تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر – القاهرة، ط: الثانية، ١٩٧٣م.

(٣) **إيهٍ**: اسم فعل أمر بمعنى: استمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت إيهٍ، فالحديث ذو شجون. **أدوات الإعراب** – لظاهر شوكت البياتي(٦٣)–مجد المؤسسة الجامعية ==

الحجاج يظهر العلَّة من دخوله على تلك الحال، ففي قوله: "إيهٍ"، معنى الاستزادة والاستمرار ، وهذا ما أشار إليه ابن جنّي [١]".

وكأنَّ الحجاج يقول له استمر في إظهار عداوتك لبني أمية، وبدأ يعَدِّدُ عليه أيامه ومواقفه، وكأنها الأدلة القاطعة على شيوع تلك العداوة البيِّنة، **(إيهٍ يا أنَيْس)**، وما في معنى التصغير في قوله: "**أُنَيس**"، من تقليل وإهانة بخادم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

وفرق بين التصغير في قول الحجاج هذا: "أُنيسٌ"، وبين التصغير في قول أمِّ سيدنا أنَسٍ – رضي الله عنه –، فقد أورد القَاضِي عِيَاض في شرحه لصحيح مسلم قصة أم سليم – أمُّ سيدنا أنسٍ رضي الله عنه – مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فيقول: "حدّثني أَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ قَالَ: جَاءتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَزرتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا، وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِى، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ الله لَهُ، فَقَالَ: " اللهُمَّ، أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ "، قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللهِ، إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمائَةِ الْيَوْمَ[٢]".

==

للدراسات والنشر–بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

(١) بقوله: "... فإذا نوَّنت، فكأنك قلت في (إيهٍ): استزادة، وإذا قلت (إيهِ) فكأنك قلت: الاستزادة، فصار التنوين علم التنكير ، وتركه علم التعريف...إلخ".سر صناعة الإعراب – لأبي الفتح عثمان بن جني تـ ٣٩٢هـ(٢/ ١٥٧)دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى– ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ**، المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم،لعياض بن موسى السبتي، ==

فالتصغير في قولها: "**هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ**"، يدلُّ على الترغيب والتعطُّف، أما هذا التصغير في قول الحجاج بن يوسف، فكأنه يتوعّد ليس يُرحب، يهدّدُ لا يُقَرِّبْ، إنَّ ما تراهُ في هذا التصغير هو الصدى لجلجلة صوت السلطان والحكم، (إيهٍ يا أُنَيْس)، تلك النبرة الجهورة، مع الوجه العابس، مع النظرات المحدِّقة، والفكرِ الثاقب، والحِجَاجِ واللِّجَاج، والجوابِ بالسؤال، والقُدرة على القتل، والعزيمة عند النزال، مع الحجة في الجواب والرد، والقدرة على الإقناع في الصواب والخطأ، إنه الحجاج بن يوسف الثقفي في تهجُّمِه على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، وما كان له أن يفعل ذلك، "**إيهٍ يا أُنَيْس**".

فكأن الحجاج قام من مجلِسِه، وأخذ يحوم حول سيدنا أنسٍ – رضي الله عنه –، وبدأ يُعدِّدُ عليه الأيام التي أظهر فيها العداء لبني أميَّة، فيقول: "**يومٌ لك مع علي**"، فيُذكِّرُه بما كان منه من الوقوف مع عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – يوم صفِّين(١).

وكأنّ الحجَّاجَ بن يوسف الثقفي قد عَدَّ كلَّ من وقف بجوار الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ضد سيدنا معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه –، لم ينصروا سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه –

==

أبو الفضل تـ٥٤٤هـ(٥١٨/٧)، تحقيق :د/ يحْيَى إِسْمَاعِيل– دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى– ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(١) **ينظر: تاريخ خليفة بن خياط** ص: ١٩١، لأبي عمرو خليفة بن خياط الشيباني تـ ٢٤٠هـ(١٩١)تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري– دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية– ١٣٩٧هـ.

وكأنهم تخاذلوا عن الثأر لمقتله- رضي الله عنه-، ويُقَوِّي هذا المعنى ما رواه ابن الأثير وابن عساكر(١).

وفي قوله: "**يَوْمٌ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ**"، حيث جاء المسند إليه (يَوْمٌ) منكَّرًا، وذلك للتهويل(٢) وتعظيم أمر موقفه في هذا اليوم، وأنه ما

كان ينبغي له أن يقف هذا الموقف مع سيدنا عليّ – رضي الله عنه – والتخاذل عن الأخذ بالثأر لمقتل سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه ، ومعاداة بني أميَّة.

وقد سوَّغ له الابتداء بالنكرة ما أشار إليه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي قائِلًا: "حَسُنَ الإخبار عن النكرة ههنا في اللفظ؛ لأنه – يقصد الجار والمجرور – ليس خبراً عنهما في الحقيقة، ألا ترى أنك إذا قدمت الاسم المبتدأ فقلت: " رجل في الدار "، كيف يبقى الكلام ناقصًا؛ لأن النكرة تطلب الوصف طلبًا حثيثًا، فيسبق إلى الوهم أن الجار والمجرور وصف لها لا خبر عنها؛ إذ ليس من عادتها أن يخبر عنها إلا بعد الوصف لها...(٣)".

فقد خصَّص الحجَّاج النكرة في قوله: "يومٌ" بالوصف، والصفة هي

---

(١) **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (٢٩٤/١، ٥٧٥/٢)، وفيه: قال:" رأيت أنَسَ بن مالك مختومًا في عنقه، خَتَمَهُ الحَجَّاج، أرادَ أنْ يُذِلَّهُ بذلك". **وتاريخ دمشق لابن عساكر** (١٢/ ١٧٠).

(٢) **ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة**(٣٦/٢).

(٣) **نتائج الفكر في النحو** (٣١٥).

قوله: "لك"، وهذا ما أشار إليه السهيلي، فإذا قدَّمتَ الجار والمجرور تغيَّرَ المراد، ثم جاء بالخبر جارًا ومجرورًا حتى يُتِمَّ خَبَرَهُ بتمام الجملة ، فيقول: "مع عليّ"، فالجار والمجرور هنا، خبر المبتدأ (يومٌ لك)، ثمَّ كرَّر المبتدأ ثانيةً ليهدِّد ويتوعَّد، وهو من المواضع التي يحسن فيها التكرار، وإلى هذا قد أشار ابن رشيق القيرواني قائلًا: "وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقلّ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعًا فذلك الخذلان بعينه...[1]".

وهكذا فقد جاء تكرار الحجاج للمسند إليه في موضعه؛ ولذا كان وقعه حسنًا عند المتلقين، ثم يذكِّرُه بيوم آخَر حتى يبرز أدلَّتَه التي جعلته يستقْدِمُهُ على تلك الحال وهذه الهيئة، فيقول: "**ويومٌ لك مع ابن الزبير**"، يذكره بأنه قد وقف معاديًا لبني أمية في صفِّ عبد الله ابن الزبير بن العوام، فقد كتب له عبد الله بن الزبير أن يؤم الناس في الصلاة[2]، فعدَّ الحجاجُ هذا الصنيع

---

(١) يشير ابن رشيق القيرواني إلى المواضع التي يكون فيها التكرار، ويكون موضعه حسنًا، فيقول: "ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة... أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجع...". **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** – لابن رشيق القيرواني الأزدي تـ ٤٦٣ هـ(٧٤/٢ وما بعدها) تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد– دار الجيل، الطبعة: الخامسة–١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) يقول أبو عمرو خليفة بن خياط: "بعث عَبْد اللَّهِ بْن الزبير عَلَى صَلَاة الْكُوفَة عَبْد اللَّهِ بْن يَزِيد الخطمي وعَلى الْخراج إِبْرَاهِيم بْن مُحَمَّد بْن طَلْحَة بْن عبيد الله وَذَلِكَ فِي شهر رَمَضَان سنة أَربع وَسِتِّينَ ،وَأقر عَبْد اللَّهِ بْن الْحَارِث وعَلى الْبَصْرَة أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثمَّ كتب إِلَى أنس بْن مَالك يُصَلِّي بِالنَّاسِ". **تاريخ خليفة بن خياط**(٢٥٩)

معاداةً لبني أمية، ثم يكرِّرُ للمرة الثالثة واقعةً أخرى من المواقع التي وقف فيها سيدنا أنس ابن مالك – رضي الله عنه – مُظْهِرًا العداء وعدم إعلان الطاعة لِمُلْك بني أمية على المسلمين، فيقول:

"**وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ**(١)(٢)"

ومع التكرار الذي كسى المسند إليه، ويُزَادُ منه الإفصاح عن الدليل والحجة التي تسلَّح بها الحجاج بن يوسف لِفِعْل فَعْلته مع خادم رسول الله – ﷺ– ليوقفه هذا الموقف، والذي يريد منه إذلاله حتى يبتعد الناس عنه(٣)ويُنَفِّرَهم منه، حتى لا يلحقهم الأذى لجوار سيدنا أنس – ﷺ – ومصاحبتهم إياه، فقد عدّدَ عليه مواقف ثلاث بهم يتم التأكيد على الانتماء

---

(١) **هو**: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عديّ بن ربيعة بن الحارث بن الأصغر... (توفي سنة: ٨٢هـ، وقيل ٨٤هـ) **ينظر: المقفى الكبير** – لتقي الدين المقريزي تـ ٨٤٥هـ(٤/ ٣٩ وما قبلها) تحقيق: محمد اليعلاوي– دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢) ذكر الواقديّ أن عبد الله بن أنس بن مالك خرج مع ابن الجارود على الحجاج، وقُتل معه، ولما خرج ابن الأشعث كان أنس في جُملة القُرَّاء يُحَرِّض النَّاس على قتال الحجاج. **ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**– لشمس الدين أبو المظفر المعروف بسبط ابن الجوزي تـ ٦٥٤هـ(٩/٤٦٠)، تحقيق: محمد بركات، وآخرون – دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٣) قُتِلَ مَعَ ابْنِ الْجَارُودِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: "أَلَا أَرَى أَنَسًا يُعِينُ عَلَيَّ!، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَصْرَةَ أَخَذَ مَالَهُ...". **الكامل في التاريخ** – لعز الدين ابن الأثير تـ٦٣٠هـ(٣/ ٤٣٠) تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري–دار الكتاب العربي–ط١– ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

والنهج الذي انتهجه سيدنا أنسٍ – ﷺ – من وِجهة نظر الحجاج، في كونه مُعَادٍ ظاهر العداء لبني أمية، وعليه بما أنه يد السلطان ووليه أن يئد كل الأصوات التي تعارض حكم بني أمية، حتى لو كان له من المكانة مكان، وله من الفضل ما لا يحويه إحسان، أو تهاوُنٍ إذا كان شأنه على منوال هذا الشأن.

فيُقْسم الحجاج على أن يفعل بسيدنا أنس – ﷺ – الأفاعيل فيقول:

"وَاللَّهِ لأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ، وَلأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ".

مستعملًا (الواو) للقسم، ومن خصائصها أنها تختص بالظَّاهِرِ فَلَا تجر ضميرًا بِخِلَاف (الْبَاء)، وَلَا يظْهر مَعهَا الْفِعْل أَي فعل الْقسم بل يُضمر وجوبا[1]، وفي ذلك يقول الزمخشري:"... فالباء لأصالتها تدخل على المضمر والمظهر فتقول: بالله وبك لأفعلن كذا، و(الواو) لا تدخل إلا على المظهر ؛ لنقصانها عن (الباء)، و(التاء) لا تدخل من المظهر إلا على واحد ؛ لنقصانها عن (الواو)[2]".

فاستعان الحجاج بـ (الواو) في القسم ؛ ليضمر الفعل ويختزله، وكأنه يريد الإسراع لإلحاق العقوبة بسيدنا أنسٍ – رضي الله عنه –، فيتوعد ويهدد بتهديد القادر على إنزال العقوبة، وإلحاق الأذى والضرر، يقسم قسم

---

(١) **ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**– لجلال الدين السيوطي تـ ٩١١هـ(٤٧٩/٢) تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي– المكتبة التوفيقية، مصر، من دون ت.

(٢) **المفصل في صنعة الإعراب** ص: ٣٨٣، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري تـ ٥٣٨هـ(٣٨٣) تحقيق: علي أبو ملحم– مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٩٩٣م.

المستطيع على البر بهذا القسم، ثم استعمل أقوى الألفاظ التي تدل على الإزالة وهو **(لَأَسْتَأْصِلَنَّكَ)**، ثم استعان بالتشبيه لبيان مقدار حاله في القوة والضعف ، والزيادة والنقصان(١).

واستعمل (الكاف) لإفادة التشبيه، وفي استعمالها فضيلة أراد منها الحجاج أن يبني الأمر على حقيقته أولًا حتى يستقر في ذهن المستمع، وحقيقة الأمر إرادة الحجاج استئصال سيدنا أنس – ﷺ – من على الوجود، وإلى هذا قد أشار ابن عساكر(٢)، فأخبره بذلك مُقْسِمًا على ذلك، وعليه فقد استعمل (الكاف) في موضعها اللائق بها، وفي ذلك يقول ابن يعيش في شرحه للمفصّل: "إن قيل: فما الفرق بين الأصل والفرع في (كَأَنَّ)؟ قيل: التشبيه في الفرع أقعدُ منه في الأصل، وذلك إذا قلت: "زيدٌ كالأسد"، فقد بنَيْتَ كلامَك على اليقين، ثمّ طَرأ التشبيهُ بعدُ، فَسَرَى من الآخِر إلى الأوّل، وليس كذلك في الفرع(٣)".

فبنى الحجاج كلامه من بادئ الأمر على اليقين، أي: أنَّه عازمٌ على استئصال سيدنا أنس – ﷺ –، ثم أكد كلامه بأكثر من مؤكد، أولها: القسم مع استعماله لأشهر وأعرف ألفاظ القسم (والله) والأصل؛ ليبين الصدق في النية، والعزيمة والهمة والقدرة على فعل المقسوم عليه، ثم يؤكد الجواب

---

(١) **ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة** – لعبد المتعال الصعيدي تـ ١٣٩١هـ(٣/ ٤١٤) مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر– ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

(٢) **ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر**(١٢/ ١٧١).

(٣) **شرح المفصل لابن يعيش** تـ: ٦٤٣هـ(٥٦٤/٤)، تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى– ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ثانيةً: بـ (اللام التي تقع في جواب القسم[١])، ثم يؤكد القسم ثالثةً: بـ (النون)، وإلى هذا قد أشار أبو علي الفارسي المتوفي (٣٧٧هـ) قائلًا: "إنَّ (إنْ) في قولك: "إنْ كان لصالحًا"، بمنزلة النّون في (لأفْعَلَنَّ)، في أنّ كل واحدٍ منهما للتأكيد، وأنّ كل واحد منهما فاصلٌ بين شيئين لولاهما لالْتَبَسا، فاللامُ في (لَصالِحًا) فَصَل بين الإيجاب والنَّفي، والنُّونُ في (لأفْعَلَنَّ) فصَلَ بين فعلِ الحالِ والاستقبالِ...لا يجوزُ أنْ يُحْلفَ على الفعل الذي في الحال على الحقيقة؛ لأنّه إلى أنْ يُحْلَفَ على ما في الحال قد انقضى الحالُ [٢]".

وعلى المعنى الذي أشار إليه أبو علي الفارسي ، فإن العقوبة التي يريد إنزالها الحجاج بسيدنا أنسٍ – ﷺ – ليست حال القسم، وإنما سيتم إيقاعها في المستقبل، فدلّ التركيب على التهديد والتوعُّد، ثم يقرّب له الصورة التي سيكون عليها عند إنزال العقوبة والبرّ بهذا القسم، عن طريق التشبيه التمثيلي، فيقول: **(وَاللَّهِ لَأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ)**، حيث جعل المشبه به صورة، حتى يتمكن من تقرير المشبه في ذهن المستمع، والمشبه به هو الهيئة الحاصلة من انتزاع شيء واجب انتزاعه لما به من أذى، والإتيان عليه من أصله، ووجه الشبه هو الصورة المنتزعة من إزالة

---

(١) القسم يجاب بأربعة أشياء: بـ(اللام، وإنَّ) في الإيجاب، و(ما ولا) في النفي، ولابد للقسم من جواب؛ لأنه به تقع الفائدة ويتم الكلام؛ ولأنه هو المحلوف عليه، ومحال ذكر حلف بغير محلوف عليه، فـ(اللام) كقولك: والله لأخرجن وتالله لأقصدن زيدًا. **اللَّامات** – لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي تـ ٣٣٧هـ(٨٥) تحقيق:مازن المبارك، – دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثانية– ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) **التعليقة على كتاب سيبويه** – لأبي على الفارسي تـ ٣٧٧هـ(٢/ ٢١٣) تحقيق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة: الأولى– ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

شيء من مكانه واستئصاله، فليس المراد تشبيه سيدنا أنسٍ – ﷺ – بالشأفة، لكن عموم التركيب يدل على أن الصورة التي أرادها الحجاج، هي صورة الاستئصال الذي يكون للشأفة، والهيئة التي عليها الإزالة.

وقد أحسن الحجاج في اختيار (الشأفة) دون غيرها من الألفاظ التي تدل على التقرُّح، وعلة ذلك ما أورده إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (المتوفي: ٢٨٥هـ)، فيقول:

"**اسْتَشْأَفَتِ الْقَرْحَةُ، إِذَا انْتَهَتْ مُنْتَهَاهَا وَخَبُثَتْ**[(١)]"، أي: أن استئصال سيدنا أنسٍ – ﷺ – صار أمرًا إلزاميًا؛ وذلك لأنه قد صار كما القرحة التي خبثت وانتهت ، ووجب استئصالها من وجهة نظر الحجاج، وهكذا يمضي يهدد ويتوعد البقية الصالحة من الصحبة الأطهار، والمنتقين الأخيار.

فشبَّهَ سيدَنا أنسٍ – ﷺ – بالقرحة الْمُنْدَمِلَة التي خَبُثَتْ، ووجه الشبه هو الإزالة من الأصل، حتى لا يكون له قائمة أخرى ، فيلتف الناس حوله ويستمعوا منه، فيثير القلاقل ويصنع الاضطراب لما يتمتع به من ثقة وصدق عند عموم المسلمين، إنه خادم رسول الله – ﷺ –، ثم يؤكد الصورة التي رسمها عن طريق التشبيه، بصورة مماثلة لها، فيقول: "**وَلأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ**"، ولبيان تلك الصورة ، فقد أشار ابن قتيبة الدينوري إلى معناها قائلًا: "لأقلعنك قلع الصمغة، يُرِيد: لأستأصلنك، والصمغ: إِذا قُلِعَ انقلع كُله ، فلا يبقى لَهُ أثر؛ وَلذَلِك يُقَال: تَركتهم على مثل مقلع الصمغة،

(١) **غريب الحديث لإبراهيم الحربي** ٢/ ٨٢٠، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (١٩٨هـ – ٢٨٥هـ)، المحقق: سليمان إبراهيم محمد العايد– جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى– ١٤٠٥هـ.

ومقرف الصمغة، إذا لم يبْق لَهُم شيء إِلَّا ذهب[١]".

والغرض من الصورتين بيان مقدار حال المشبه، والهيئة التي يكون عليها الاستئصال والقلع[٢]، فيكون صداه على المستمع أوْقع، وللترهيب أقوى وأزْجَر، وعلى ذلك فقد أظهر الحجاج بن يوسف نيَّته ومُراده من استدعائه لسيدنا أنسٍ – ﷺ – بعدما استولى على كل مَالِه وقتْلِه لابنه عبد الله، وقد علَّل الحجاج لفعلته تلك حين أراد أن يترضَّى سيدنا أنسٍ – ﷺ – بعدما نهره ووبخه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين على ذلك[٣].

فيتلقى سيدنا أنسٍ – ﷺ – هذا التهديد وذاك الوعيد بحكمة الحكماء، فقد أخذ من أفواه أصحاب رسول الله – ﷺ – القواعد التي تُبنى عليها اللغة العربية، فيبرز في جوابه – ﷺ – لونٌ بديعيٌّ سماه علماء البلاغة بعد ذلك (بالأسلوب الحكيم[٤])؛ حتى يقرر لنفسه ما وَقَرَ في قلب الحجاج ويؤكده لنفسه، فيأخذ حذره ويتقي شروره، فيرد قائلًا:

---

(١) **غريب الحديث لابن قتيبة** (٣/ ٧١٠).

(٢) **ينظر: الإيضاح ضمن البغية** (٣/ ٤١٤).

(٣) **قال الحجاج:** "يَا أبا حمزة عجّلت – يرحمك الله – باللائمة والشكية إِلَى أَمِير الْمُؤْمِنِينَ قبل أن تعلم كل الَّذِي لك عندي، إن الَّذِي فرط مني إليك عَن غير نية ولا رضا بما قلت، ولكني أردت أن يعلم أَهْل العراق ؛ إذ كَانَ من ابنك مَا كَانَ أني إذا بلغت منك مَا بلغت، كنت إليهم بالغلظة والعقوبة أسرع". **أنساب الأشراف** للبلاذري (٧/ ٢٩٧).

(٤) **الأسلوب الحكيم:** وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له. **الإيضاح في علوم البلاغة** (٢/ ٩٤).

"فَقَالَ أَنَسٌ: إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ – أَصْلَحَهُ اللَّهُ –؟.

وكأنه يقول بلسان الحال، لست أنا من تتحدث عنه، إنما مقصدك شخصٌ آخر، فكأن سيدنا أنس – ﷺ – يذكّرُه بما يجب عليه من أدبٍ في الحديث يجب أن يتحلى به حين التحدث مع خادم رسول الله – ﷺ – لكن بلسان الحال وتجاهلٍ للكلام، فقد أبرز هذا اللون البديعي (الأسلوب الحكيم) مراد سيدنا أنس في تَرَفُّعٍ وعُلُوِّ هَامَةٍ، وثِقَةٍ مُطْلَقَة بأن النافع والضار هو الله ﷻ –، إنه أنس بن مالك إن رفع يديه إلى السماء بالدعاء ، فقد انتصر، وهذا ما أورد ابن أبي الدنيا [١].

ومن جهة بلاغية أخرى ، فإن تجاهل سيدنا أنسٍ – ﷺ – وهو عالِم بما يستطيع فعله الحجاج، فتجاهل وكأن الكلام غير مُوَجَّهٍ إليه، وعلى ذلك فقد استعان بلون بديعي بلاغي سماه العلماء بـ (تجاهل العارف)؛ ليتسنى له الاستزادة مما في جعبة الحجاج ليستوضح الأمر ويستبينه، فتجاهلَ الوعيد والتهديد وهو يعلم أنه موجَّه إليه، وقد أشار إلى تعريف هذا اللون البديعي شهاب الدين النويري قائلًا: "**تجاهل العارف:** هو سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذمّ، أو ليدلّ على شدّة التدلُّهِ في الحبّ، أو لقصد التعجّب، أو التوبيخ، أو التقرير[٢]".

وبالتأمل في اللونين البلاغيين (أسلوب الحكيم، وتجاهل العارف) ترى

---

(١) **مجابوا الدعوة – لابن أبي الدنيا** تـ ٢٨١هـ(٤٢)، دراسة وتحقيق: الشيخ زياد حمدان– مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) **نهاية الأرب في فنون الأدب** –لأحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري تـ ٧٣٣هـ(٧/ ١٢٣)–دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى– ١٤٢٣هـ.

أن التعليل على اعتبار أنه أسلوب الحكيم أقرب للقبول؛ وذلك لأن التهديد الذي أطلق عنانه الحجاج بن يوسف الثقفي في وجه سيدنا أنس رضي الله عنه كان مدعاةً لتلقيه بالحكمة مع ما يتصف به سيدنا أنس من فطنة ليتمم الحوار بين الحجاج مع إبراز ما في نفسه من نوايا، فكأنه يستدرجه بالحوار ليستبين النية.

فيقول الراوي: "**فَقَالَ أَنَسٌ: إِيَّايَ**(١) **يَعْنِي الأَمِيرُ؟!**"، فاستعمال (الفاء) من قِبَل الراوي لينقل الحديث من الحجاج بن يوسف إلى سيدنا أنسٍ – ﷺ –؛ حتى تفيد أن الفترة الزمنية بين الكلام والجواب قريبة(٢)، فاستعمل (الفاء) ليدللَ على تداولية الخطاب وانتقاله بين أفراد المحادثة بتعاقب وتتابُعٍ، وعند تطبيق القواعد التداولية(٣) للخطاب، ستُظهر بعضًا من الحالة النفسية التي

---

(١) "**إيَّا**" اسمٌ مبهمٌ كُني به عن المنصوب، وجُعلت (الكاف والهاء والياء) بيانًا عن المقصود؛ ليُعلَم المخاطب من الغائب والمتكلم، فهي حروفٌ لا موضع لها من الإعراب. **شرح المفصل لابن يعيش**(٥/ ٦٣).

(٢) يقول المبرد: "**(الفاءُ)** وهى توجب أَنَّ الثاني بعد الأَوّل، وأَنّ الأَمر بَينهمَا قريب. **المقتضب** – لمحمد بن يزيد أبو العباس، المعروف بـ المبرد تـ ٢٨٥هـ(١/١٠) تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة– عالم الكتب، بيروت– بلا تاريخ.

(٣) وضع علماء اللسانيات أكثر من تعريف للتداولية، منها: الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية، والسياقات المرجعية والحدثية والبشرية، والدراسة التي تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه الخطابي، وهو تعريف أتى به (أ. م. ديلر) (A. M. Diller)، و(ف. ريكانتي) (F. Recanati).

- دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت، لـ (ف. جاك) (F. Jacues).

- الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة ==

اكتنفت وكست طرفي المحادثة.

"**إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ!**"، على قول ابن يعيش الذي أورده في معنى (إيّا)، أنها كناية عن موصوف أضفت نوعًا من الإبهام على المُكني عنه، ثم أسندها الراوي إلى (ياء) التكلم ليفصح عن الإبهام الذي اكتنفها، ويشير ابن جني إلى تلك (الياء) قائلًا:

"ما رآه أبو الحسن في أن الهاء والياء في "إياه" و"إياي" حرفان؛ أحدهما للغيبة وهو (الهاء), والآخر للحضور وهو (الياء)، وذلك أنه كان يرى أن (الكاف) في "إياك" حرف للخطاب, فإذا أدخلت عليه (الهاء والياء) في "إياه" و"إياي" قال: هما –أيضًا– حرفان للغيبة والحضور, مخلوعة عنهما دلالة الاسمية في رأيته، وغلامي وصاحبي[(١)]".

ثم يتجاهل وهو عالمٌ بمقصد الحجاج ومراده، فقدَّم المفعول به على الفعل والفاعل في قوله: "**إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ!**"، بقصد التخصيص وإلى ذلك قد أشار القزويني[(٢)]، فقدم المفعول به بغرض التخصيص، وفي استعماله

==

في التواصل، لـ (ل. سفز) (L. Sfez). **التداولية من أوستين إلى غوفمان** – تأليف: فيليب بلانشيه(١٩) ترجمة: صابر الحباشة– دار الحوار، سوريا، اللاذقية، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٧م.

(١) **الخصائص لابن جني** –لأبي الفتح عثمان بن جني(٢/ ١٨٩) تحقيق: محمد علي النجار– المكتبة العلمية – بلا تاريخ.

(٢) يقول الخطيب القزويني: " التخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم؛ ولذلك يقال في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، معناه: نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك، ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك, وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، معناه: إن كنتم تخصونه بالعبادة. **الإيضاح في علوم البلاغة** (٢/ ١٦٤).

للفعل (يعني) فطرة جُبِل عليها خادم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الفصاحة والوضوح والدقة في استعمال اللفظ اللائق الذي يدل على المعنى المراد، حيث ذكر أبو هلال العسكري في معناه ما يلي:

"المعنى: هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه(١)".

وكأنَّ سيدنا أنسٍ – ﷺ – يتساءل ويعلوه التعجب والاستغراب، أهكذا تكون معاملة أصحاب رسول الله – ﷺ –؟!، **وَاللَّهِ لَأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ، وَلَأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ**، ما هكذا تكون المعاملة، ومثلي ليس جديرًا بأن يقال له ذلك، أو هو التعجب من شطط الحجاج وجرأته وإمهال الله له.

فلك الله يا صاحب رسول الله – رضي الله عنك –، وقَّر المعنى في قلبه، وقرَّر الحجاج على نفسه، واستفهم عن مراده، باستعماله لقاعدة التقديم، مع استعمال اللفظ الذي يليق في الموضع اللائق في جملة واحدة، "**إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ!**"، وإذا ما تأملت سترى جليًّا أن تلك الجملة تعتليها كل تلك المعاني.

ثم فصل بين الجملتين لاختلافهما خبرًا وإنشاءً في المعنى، جملة (إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ)، وجملة (أَصْلَحَهُ اللَّهُ)، حيث جاءت الجملة الأولى إنشائية لفظًا ومعنى، والجملة الثانية جاءت خبرية لفظًا وإنشائية معنى، وهذا ما أراد به العلماء كمال الانقطاع(٢).

---

(١) **معجم الفروق اللغوية**، – لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري تـ نحو ٣٩٥هـ(٥٠٣)تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي– مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة: الأولى– ١٤١٢هـ.

(٢) يقول الخطيب القزويني: "أما كما ل الانقطاع ،فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو ==

ومجيء الخبر في صورة الإنشاء له من اللطائف البلاغية التي أشار إليها القزويني في قوله:

"ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء إما: للتفاؤل، أو لإظهار الحرص في وقوعه كما مر، والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين[١]".

وفي اختياره لصيغة الدعاء التي دعا بها لطيفة، حيث لم يخل دعاءه من التوجيه والرشاد، فقد دعا له بالصلاح، ثم ترى في تجريده من الحجاج بلقبه الذي هو عليه (الأمير)، فلم يقل: "إياي تعني" بالخطاب، بل (إيايَ يعني الأميرُ)، فكان مقتضي الكلام أن يكون على الخطاب (تعني)؛ فهو هنا وضع للظاهر " الأمير" موضع المضمر "إياي تعني" أي: أنت.

لكنه عدل إلى الغيبة(يعني)حتى يجرد الحجاج من صفته التي هو عليها، وهو أنْ جرَّده للعناية بوجاهته,وفحوى ذلك أن يعلم الناس ما له في الدولة من المنزلة والكرامة، (يعني الأميرُ).

ومن جهة أخرى: أنه التفت من الخطاب إلى الغيبة ،وهذا الالتفات الذي صنعه سيدنا أنسٍ – ﷺ – وكأنه يريد أن يشهِّر بصنيع الحجاج هذا ويروي قصته لغيره؛ لأن هذا التهجم العجيب من الحجاج لابد وأن يُروى، وهذا يفيد الإعراض والترفع عن سلوك الحجاج، وقد أشار إلى هذا المعنى الدكتور/ محمد أبو موسى[٢]، ليرد الحجاج بتهجم واستعلاء وقدرة على

==

إلى طرفيه، الأول: أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى... أو معنى لا لفظًا". **الإيضاح في علوم البلاغة**(٣/ ١٠٥).

(١) **الإيضاح في علوم البلاغة** (٣/ ٩٣).

(٢) **ينظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني** – لمحمد محمد أبو ==

إيقاع العقوبة بقوله:

"فَقَالَ: إِيَّاكَ[1]، – سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ –".

استعمل الراوي (الفاء) العاطفة التي تدل على تعاقب الكلام واستمرار تداولية الخطاب بين أطراف المحادثة، لكن كما ترى، كم هو قاسٍ ذلك الرد والجواب من الحجاج على صحابة رسول الله – ﷺ –، فكأن الإنذار والتحذير والتهديد بإنزال العقوبة هو السمة السائدة على لغة الحجاج في حواره مع سيدنا أنسٍ – ﷺ –، لكن لا تستطيع إنكار الفصاحة التي حيزت له، واستعمال اللفظ اللائق في موضعه.

وفي بناء الجملة على كلمة واحدة في قوله: **"إياكَ"**، لها من السمات التي تجعل سياق الحديث له من القوة والهيبة ما يجعل المتأمل يتفحص الجملة المحذوفة حتى يرى الكلمة الباقية منها رؤية المعاين والمشاهد للحدث وما يكتنفه من شدّة وقوة[2].

==

موسى(١٩٨) مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية– ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(١) يقول بدر الدين بن مالك: "إيْ (بكسر الهمزة)، حرف بمعنى نعم، يكون لتصديق مخبر، أو إعلام مستخبر، أو وعد طال، لكنها مختصة بالقسم، و(نعم) تكون في القسم وغيره". **الجنى الداني في حروف المعاني** – للمرادي المصري تـ ٧٤٩هـ(٢٣٥) تحقيق: د: فخر الدين قباوة ،ومحمد نديم فاضل– دار الكتب العلمية، بيروت–ط١– ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) يقول الدكتور/ محمد أبو موسى: "ومن أحسن مواقع الحذف ما ترى الجملة فيه بقيت على كلمة واحدة، وقد يكون ذلك في سياق قوي مجلجل، فيزداد حسن هذا الحذف". **خصائص التراكيب** (٢١٧).

ثم يفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع، جملة (إيَّاك) وهي المفعول للفعل المحذوف (أعني) وجملة (**سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ**)، حيث وقعت الجملة الثانية خبرية لفظًا إنشائية معنى، والجملة الأولى خبرية لفظًا ومعنى، وليس بينهما رابط ، فوجب الفصل لكمال الانقطاع، فيقول: "سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ"، والدعاء في صورة الخبر من البليغ الذي يعتد بفصاحته يراد منه الحرص على وقوع الأمر(١)، وكأن الحجاج حريص كل الحرص على استجابة دعائه، لكن هيهات هيهات إنما هو أنس بن مالك – ﷺ – المستجاب الدعوة، القريب الصلة بالله رب العالمين، ربيب رسول الله – ﷺ –.

والمعنى لقوله: "سَكّ(٢)" كأنه يدعو عليه بالصمم، والسكك يكون للأذن وللسمع ذاته، فاستعمل السمع حتى يكون الصمم ألصق؛ ليشمل صغر الأذن الذي يتبعه صغر مجاري السمع حتى تتعطل الآلة من أصلها، فاستعمال اللفظ أظهر المكنون بين طيات ضلوع الحجاج بن يوسف من غيظٍ وحَنَقٍ شديدين على سيدنا أنسٍ – ﷺ –.

ويرد رضوان الله عليه على الحجاج بغير ما يتوقع، وذلك بعدما امتثل الأمر الرباني عند إصابة المؤمن المصيبة بأن يسترجع الأمر لله، وذلك في قوله تعالى:

﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ**

---

(١) **ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة** (٣/ ٩٣).

(٢) (سك) السين والكاف أصل مطرد، يدل على ضيق وانضمام وصغر، من ذلك السكك، وهو صغر الأذن، وهذه أذن سكاء، ويقال استكت مسامعه: إذا صمت. **مقاييس اللغة** (٣/ ٥٨).

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ[1]﴾.

ردَّ عليه رضوانٌ من الله كما علَّمَه رسول الله – ﷺ –، ردَّ الإساءة بالإحسان، والغيظ بالكَظْمِ والكتمان، والحُلم على الأذى بالاسترجاع، فقال: **"قَالَ أَنَسٌ: إنّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، وَاللَّهِ لَوْلا الصِّبْيَةُ الصِّغَارُ، مَا بَالَيْتُ أَيَّ قِتلةٍ قُتِلْتُ، وَلا أَيَّ مِيتةٍ مِتُّ"**.

وهنا تسقط (الفاء) العاطفة التي تراها تطلُّ عند كل انتقالٍ للكلام وتداوُلٍ للحوار، وكأنَّ سقوطها يشعر بانتهاء اللقاء، هنا المحطة الأخيرة، فقد سقطت (الفاء)، مع الفصل بين الجمل الذي تراه، فبين جملة **(قال أنسٌ)** والجملة التي سبقتها وهي الجملة الدعائية التي ألقاها الحجاج على مسامع سيدنا أنس – رضي الله عنه – ولا داعٍ لتكرارها جملة (.....سمعك)، وذلك لشبه كمال الاتصال[2]، وفي مثل هذا الموضع يشير عبد القاهر الجرجاني إلى العلة التي من أجلها يفصل بين الجمل، فَيُبيّن قائلًا: "واعلم أن الذى تراه في التنزيل من لفظ (قال) مفصولًا غير معطوف، هذا هو التقدير فيه، والله أعلم... – أنه – جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: "دخل قوم على فلان فقالوا كذا"، أُخْرَج الكلام ذلك المخرج؛ لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه،

---

(١) **سورة البقرة**، رقم (١٥٥: ١٥٦).

(٢) أما كونها بمنزلة المتصلة بها؛ فلكونها جوابا عن سؤال اقتضته الأولى؛ فتنزل منزلته، فتُفصَل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال. **الإيضاح ضمن البغية** (٢/ ٢٩٣).

وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه(١)".

وعلى ذلك فلفظ (قال) في هذه الجملة مفصول غير معطوف؛ ولذا فقد فُصل بين الجمل لاتصالها في المعنى، وبالنظر إلى بناء الجملة التي ردَّ بها على الحجاج مقالته، تلمس فيها الاستسلام المطلق للقدر الرباني والتدبير الإلهي، واليقين اللامحدود بقدرة الخالق وعظمته، (إنّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون)، وهكذا ربَّاهم رسول الله – ﷺ – إنهم الصحب الكرام.

(إنّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون) مؤكدًا لمضمون الخبر عن طريق (إنَّ) ودلالتها الواضحة على التأكيد، ثم إسنادها إلى الضمير الذي هو في محل نصب اسمها؛ ليضمر معه الذات ، ويبرز الاقتداء بالهدي النبوي في أن الأمر كلّه لله، مع مجيء الخبر شبه جملة مصدرة بـ (اللام) والتي تدل على التملك ، وأشار إلى معناها ابن جني قائلًا:

"معنى اللَّام: الْملك والاستحقاق، تَقول المال لزيد أَي: هُوَ مَالِكه ومستحقه(٢)".

فأثبت الملكية المطلقة؛ لأن حروفَ الجر لا تُعَلَّق، وتكون مُتَّصِلَةً بما تَجُرُّه معنى ولفظًا(٣)، وأكد اختصاصه – عزَّ وجَلَّ – بها عن طريق (إنَّ)

---

(١) **دلائل الإعجاز**– لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني تـ ٤٧١هـ(١/ ٢٤٠)تحقيق: محمود محمد شاكر ، أبو فهر– مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة– ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) **اللمع في العربية** – لأبي الفتح عثمان بن جني تـ ٣٩٢هـ(٧٤) تحقيق:فائز فارس– دار الكتب الثقافية، الكويت، – بلا تاريخ.

(٣) **ينظر: التعليقة على كتاب سيبويه** (٢/ ١٩٣).

المؤكدة، ثم عطف عليها ما يجعله في ثقة تامة بمالك الملك ومليكه، ومَنْ إليه تدبير كل أمر فيقول: "وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون"، وفي تقديم شبه الجملة على متعلقها للقصر والتوكيد.

وهذا الاقتباس(١) الذي استعان به سيدنا أنسٍ – ﷺ – ليوقر المعنى في قلبه، ويخبر الحجاج بأن ليس له من الأمر شيء، فما وطْئَتَ مقامك هذا إلا بمراد الله وتدبيره، فانظر على أيّ هيئة ستلقى الله – سبحانه –، وبأي حجة ستحتجّ، فاقتبس ﷺ ليزيح الغشاوة، ويكشف الغمة التي اكتنفت الحجاج في مقامٍ أقامه فيه الله – سبحانه –، ولم يكتف بالإشارة إلى تمام الملكية الخالصة لله –ﷻ – بل وإلى الموئل – أيضًا – وأنه لابد بأنه راجعٌ إلى الله، وكما أُكِّدَ مضمون الخبر في الجملة الأولى فقد أُكِّد في الأخرى، وعلى ذات النهج والطريق باستعمال (إنَّ) مع جعل اسمها ضميرًا؛ ولوقوع (إنّ) الابتدائية في صدر جملة الحال ، فقد جاءت مكسورة الهمزة ؛ لتزيد من التأكيد الذي يكتنف الجملة من بدئها، وإلى هذا قد أشار ابن مالك قائِلًا:

"يُستدام كسر (إنَّ) ما لم تؤول هي ومعمولها بمصدر، فاعلم بذلك أن الكسر لازم للمبدوء بها لفظًا ومعنى... وللواقعة موقع الحال(٢)".

وقد وقعت (إنَّ) مع القول، والتأكيد بالأصل له من الفضائل التي

---

(١) **الاقتباس:** هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية، أو آية من آيات كتاب الله خاصة، هذا هو الإجماع. **خزانة الأدب وغاية الأرب** – لابن حجة الحموي تـ ٨٣٧هـ(٢/ ٤٥٥) تحقيق:عصام شقيو– دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة–٢٠٠٤م.

(٢) **شرح التسهيل لابن مالك** (٢/ ١٩).

تجعل التأكيد به في مرتبة يشتق منها معانٍ كثيرة؛ لأن الفروع مستنبطة ، فلها معنى زائد يحددها، أمَّا الأصول ففيها المعاني المختلفة كامنة لا تبغي إلا الاستنباط مع التدوين، وعلى ذلك يمكن للمخاطب الذي لم يشاهد محادثة سيدنا أنسٍ – ﷺ – والحجاج، أن يبني خياله لاستحضار الحالة التي كان عليها اللقاء، مع ما يعتليه من افتراضٍ مُسَبَّق[١]، أو استلزامٍ للحوار[٢] والتي تساهم في إبراز المعنى أكثر وتحديده، وكل ذلك لتتم عملية

---

(١) **الافتراض المسبق**: Pre-supposition: في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواه ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة، ففي الملفوظ (١) مثلًا: أغلق النافذة، وفي الملفوظ (٢): لا تغلق النافذة، وفي الملفوظين كليهما خلفية (افتراض مسبق)، مضمونها أن النافذة مفتوحة". **التداولية عند العلماء العرب**– دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي– المؤلف: د/ مسعود صحراوي(٣١) دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٥م.

(٢) يتضح معنى **الاستلزام الحواري** من خلال المثال الذي ذكره الفيلسوف (غرايس) عند توضيحه لمفهوم هذا المصطلح قائلًا: " إن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي، ويتضح ذلك من خلال الآتي بين الأستاذين (أ) و (ب): الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟. الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز، لاحظ الفيلسوف (بول غرايس) أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما: حرفي، والآخر: مستلزم، معناها الحرفي: أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي: أن الطالب المذكور ليس مستعدًا لمتابعة الدراسة في قسم الفلسفة، وهذه الظاهرة اللغوية سماها (غرايس) بـ (الاستلزام الحواري) "L implication conversationnelle". **التداولية عند العلماء العرب**(٣٣).

تداول الخطاب، وكل الخروقات التي انحرف بها أطراف المحادثة عن مبدأ التعاون الذي وضعه (غرايس) والمسلمات الحوارية[1]، ما هي إلا وسيلة للإفصاح عن المعنى وتحديده بمختلف الطرق وشتى أوجه النظر.

وعمَّا قريب في صفحات البحث ستوضع تلك المحادثة على الميزان التداولي؛ لإبراز المراد عن طريق التطبيق العملي لنظرية التداولية التي أشار إليها البحث سابقًا.

فأي حالٍ تلك التي ينبغي أن يكون عليها سيدنا أنسٍ – ﷺ – في مصيبة الخوف التي ابتلاه الله بها على كِبَرٍ في السنِّ، وضعفٍ في القوة،

---

(١) ينهض مبدأ التعاون الذي وضعه غرايس حين تقعيده لنظريته المحادثية، التي تنص على: "أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام"، والتعاون هو ذاك المبدأ العام له أربع مسلمات هنَّ:١- **مسلمة القدْر** Quantite: وتخص قدر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية، وتتفرع إلى مقولتين:

أ- إجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

ب- لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

٢- **مسلَّمة الكيْف** Qualite: ونصها: "لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه".

١- **مسلمة الملاءمة** Pertinence: وهي عبارة عن قاعدة واحدة: "لتكن مشاركتك ملائمة".

٢- **مسلمة الجهة** Modalite: التي تنص على الوضوح في الكلام وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية:

أ- ابتعد عن اللبس. ب- تحرَّ الإيجاز. ج- تحرَّ الترتيب.

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة". **التداولية عند العلماء العرب، ص:** ٣٤.

فلك الله يا أنيس فما أصعب هذا الابتلاء، لكن معالجته المصيبة والابتلاء كان أرقى، ورقِيُّهُ نبتَتْ بذوره من امتثاله للأمر واقتدائه بالهدي، فأُجِرَ في مصيبته وفُرِّجت بلواهُ، فالخوف من الابتلاء وعلاجه الصبر، وأول الصبر ومنتهاه، والأجمع لفضائله والمحيط بفحواه، قولك: إنَّا لله ، أو كما قال الله – سبحانه –.

وفي تأكيده لمضمون الخبر خروج على خلاف مقتضى الظاهر، حيث إن المخاطب عالم بالحكم ولا ينكره(١)، لكن أنزله منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه، الإشاريات التي تعتلي الوجوه عند تداول الحوار تبرز كثيرًا من المعاني الكامنة في الأقوال المضمرة(٢)، يضاف إليها الإشاريات المكانية والزمانية، وبالتطبيق الأمثل لتلك القواعد التي وضعت لتسهل على المطلع استنباط المعنى، فبتطبيقها حق التطبيق ترى المعنى وقد صار في صورة مجسمة ملموسة، وبدأت صورته المعنوية تتجسد في الخيال وتستقبلها أدوات الاستقبال المختلفة لدى المتلقي، فيتأثر به، كما يُرَوِّي على لهيبِ ظمأِ الماءُ لصديان، وتحصل للنفس نشوة بإدراك ما كان مطويًا بين طيات السطور، وكل ذلك يأتي عند تطبيق القاعدة التطبيق الأمثل بمختلف أوجهها وتأويلاتها، ولكن أنى لنا زمان الفصحاء والبلغاء؟! وما انغمس قلمي في مداد فكري إلا لمحاولة استخراج خبيئة طيبة ألقى بها الله – تعالى –

---

(١) **يقول** الخطيب القزويني: "وكذلك يُنزل غير المنكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار". **الإيضاح في علوم البلاغة** (١/ ٧٤).

(٢) **الأقوال المضمرة**: Les sous-entendus: هي النمط الثاني من متضمنات القول... وهو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث". **التداولية عند العلماء العرب**، (٣٢).

فتكون هي النجاة.

وعلى ما سبق، فكان على سيدنا أنسٍ – ﷺ – أن يصبر وأول الصبر استرجاع، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ[1]﴾.

وحتى تدرك ما كان عليه الحجاج بن يوسف الثقفي، إليك أحد خطبه وهو على منبرٍ بالبصرة، وذلك حتى تحيط جانبًا آخر بحقيقة من يتوعَّد سيدنا أنسٍ – ﷺ – ويتهدَّده، لتدرك قدر الابتلاء الذي ابْتليَ به خادم رسول الله – ﷺ – على ضعف وشيبة، فالحوار والمحادثة سترى بها أن أحدُ اللسانين على حنق يتحدث، وفي القلب غيظ مكنون، وبيده سلطة البطش، أمام خالي الوفاض في نظر العامة، لكنَّهُ الله يُنْجِي من عباده الصالحين،إنه سيدنا أنسٍ– ﷺ–.

والآن لتتأمل ولتنظر، لتتدبر فتستبين ما كان عليه الحجّاج بن يوسف، حتى تصنع في مُخَيِّلَتِكَ المشهد مع الحبكة في بناء الحدث، وحتى يمكنك الحكْم عليه من قوله بنفسه عن نفسه، فعندما قدم الحجّاج البصرة، صعد على المنبر وخطب في الناس قائلًا:

"أَيهَا الناسُ: من أعْياه داؤه ، فعنْدي دَواؤه، وَمن استبطأ أَجله، فعلى أنْ أعجّله، ومَنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ رأسُه وضَعْتُ عَنهُ ثِقلَه، وَمن استطال ماضي عمره، قصرْتُ عَلَيْهِ باقيَهُ، إنّ للشيطانِ طيفًا، وللسُّلطان سَيْفًا، فَمن سَقُمت سريرَتُه، صحت عقوبتُه، ومَن وضعَه ذنبه، رفعهُ صَلْبُه، ومَن لم تسَعْهُ العافيةُ، لم تضق عَنهُ الهلكةُ، وَمن سبقتهُ بادرةُ فَمه، سَبقَ بدنَهُ بسفك دَمه،

(١) **سورة البقرة**، آية رقم: ١٥٦.

إِنِّي أنذرُ ثمَّ لَا أنظرُ، وأحذِّر ثمَّ لَا أعْذِر، وأتوعَّد ثمَّ لَا أغْفِر...إلخ[(١)]".

ذاك هو الحجاج في إحدى خطبه، وبما صدح به لسانه صدَّقَه بسيفِه، وكل ذلك لتدرك حجم البليَّة التي بُلِيَ بها سيدنا أنسٍ – ﷺ – .

فلا تظنَّنَّ أن الموقف الذي كان فيه خادم رسول الله – ﷺ – الموقف الهيّن الذي ينقضي وينتهي بانتهاء المحادثة واللقاء، أو أن الحجاج لم يكن على عِلْمٍ بماهية وحقيقة سيدنا أنسٍ – ﷺ – وفضله وقَدْره ومكانته عند رسول الله – ﷺ –، فإنه كان على دراية بكل هذا، لكنه أوجز صنيعه وما هو مقبلٌ على فعله بقوله: "**إنّ للشيطانِ طيفًا، وللسُّلطان سَيْفًا**" وهو سيف السلطان.

ولزامًا على المؤمنين الصبر عند الشدائد وعلى المكاره، فهكذا يكون فعلهم كما حثَّهم المولى – عزَّ وجلَّ –، وما خالف سيدنا أنسٍ – ﷺ – الأمر الإلهي، والتوجيه الرباني، والاقتداء بالنبي – ﷺ –، فصبر على البلية، واستعان بالقدرة الإلهية على النجاة من تلك المحنة بقوله: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ**﴾.

وبالتأمل في صياغة جملة (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعونَ)، تراها قد وقعت موقع الحال الذي يدل على صاحبه، فإن كان في قلب المتكلم ذرة شكٍّ أو مهابة، أو شيء من خوف، لقدرةٍ عند الحجاج على إنجاز ما عزم عليه، لكان الأولى أن تكون صياغة الجملة على الإفراد، كأن يقول: "إنّي إلى الله

(١) **البصائر والذخائر** ، لأبي حيان التوحيدي تـ نحو ٤٠٠هـ(٥/ ١٤) تحقيق: د/ وداد القاضي– دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

أو أنا لله وأنا إليه راجع"، لكنه أطلق الحكم ليعمّ الحضور، فيعتبر من يعتبر، ويذكِّر لعل الذكرى توقظ قلوبَ من لم يصبهم الاعتبار، وذلك لأن الكل تحت سلطان الله، مَنْ مَلَكَ ومَن استُعْبِد، ومن بالثراء الفاحش قد اكتسى، ومَنْ في الطرقات قد اتخذها المأوى والمسْكَنْ، وصارت السماءُ هي مُلْتَحَفُهُ والمأمن.

ومن جهة أخرى فهو من الخيرة المنتقاة – عليهم رضوان الله – وعليه النصح والإرشاد، وسوف يُسْمِعُ الحضورَ بالنطق، ما دام لم يعظهم نسبه برسول الله – ﷺ – ويعتبروا مما عليه من حال، إنه خادم رسول الله – ﷺ –، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾.

وما كان استرجاعه عن خوفٍ أو هيبة وتقهقر أمام هذه الرَّجَّة التي ملأت أركان المكان، ولا مِنْ هذا الصدى لصوت السلطان والهيبة والسطوة الذي كان عليها الحجاج حينئذٍ، ويدلُّ على ذلك ما أردف به سيدنا أنس – رضي الله عنه – قائلًا:

"وَاللَّهِ لَوْلا الصِّبْيَةُ الصِّغَارُ، مَا بَالَيْتُ أَيَّ قِتلةٍ قُتِلْتُ، وَلا أَيَّ مِيتةٍ مِتُّ".

فاسترجاعه إنما هو الامتثال الواضح للأمر الإلهي ، والتطبيق الواقعي للهدْي النبوي، وإلى اللطيفة والغاية التي يبتغيها البحث ، فقد أشار الطبري إلى ذات المعنى قائلًا:

"قال أبو جعفر: يعني – تعالى – ذِكْرَهُ: وبَشِّر، يا محمد – ﷺ – الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمنّي، فيُقرون بعبوديتي، ويوحِّدونني بالربوبية، ويصدّقون بالمعاد، والرجوع إليّ، فيستسلمون لقضائي،

ويرجون ثَوابي، ويخافون عقابي، ويقولون عند امتحاني إياهم ببعض مِحَني، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أنْ أبتليهم به من الخوف، والجوع، ونَقص الأموال، والأنفس، والثمرات، وغير ذلك من المصائب التي أنا مُمتحنهم بها: إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياءً، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مَماتنا صائرون تسليمًا لقضائي، ورضًا بأحكامي(١)".

فهذا كله في قول أنس – ﷺ –: **"إنّا لله وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُون"**، ولن تنقضي فضائل إرجاع الأمر لله، أو تنتهي فوائده وعجائبه.

وحتى لا يظن الظانون أن تلك مقالة خائف، أردف مُقْسمًا ليبين ويوضح ويعلن، أن الأمر بجملته من إحضاره على هيئة مخصوصة، والتهديد والوعيد الذي تكررت مفرداته، وتنوعت صيغه وتركيباته، لم تحدث الهدف المنشود من استعمالها، ولم تجلب الخوف أو الاضطراب أو المهابة، لكنْ رسَّخَتْ قِيَمًا يعلوها التسليم بقضاء الله، وأسست لقواعد منهجها السير على منهاج رسول الله – ﷺ –، والدليل على هذا ما أردف به بعد إرجاعه الأمر لله، فيقول:

"وَاللَّهِ لَوْلا الصِّبْيَةُ الصِّغَارُ، مَا بَالَيْتُ أَيَّ قِتلةٍ قُتِلْتُ، وَلا أَيَّ مِيتةٍ مِتُّ".

فينشئ جملته غير قاصدٍ من ورائها طلبًا عن طريق الإنشاء غير الطلبي الذي افتتح به جملته، فقد افتتحها بالقسم الصريح(٢)، واستعماله

---

(١) **ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن** – لمحمد بن جرير الطبري تـ ٣١٠هـ (٣/ ٢٢٢)تحقيق:أحمد محمد شاكر– مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى– ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) **القسم الصريح:** ما يعلم بمجرد لفظه، كون الناطق به مقسمًا. **شرح التسهيل لابن** ==

للـ(واو) يشير أنَّ القسم ليس قسم طلب؛ لأنه من شروط القسم بها ألَّا تستعمل في قسم الطلب كـ (باء) القسم؛ لأن القسم بها لا يكون إلا لتأكيد المقسم عليه، فليس من وراء استعمالها طلب؛ وذلك لأن (الباء) هي الحرف الذي اختص بالطلب من حروف القسم(١).

وفي ابتدائه بالقسم يدل على أنه ليس لغوًا، وإلى هذا قد أشار أبو علي الفارسي قائلًا:

"لا يجوز أنْ يعتمدَ اليمينُ على الجزاء ،كما جاز أن تعتمد عليه في الباب الذي قبل هذا – يعني باب الشرط – وهو قولُك: إنْ تأتني آتِك...واليمينُ ليست كذا، أي: لا تكون اليمينُ لغوًا إذا كانت متقدّمةً، إنّما تُلْغى إذا وَقَعَتْ بين كلامٍ غير مُبتدئِها(٢)".

وفي استعماله للـ (واو) في قَسَمِه خصيصة أخرى، فمن خصائصها أنها تختص بالظَّاهِرِ فَلَا تجر ضميرا بِخِلَاف (الْبَاء)، وَلَا يظْهر مَعهَا الْفِعْل أَي فعل الْقسم بل يُضمر وجوبا(٣)، وكأنه ﷺ يقول للحجاج، والله ما روَّعْتَني، ولا أصابني منك خوف، فأضمر فعل القسم باستعماله للـ (واو)؛ ليقدِّر الحجاج المحذوف في نفسه ، ويعلم أن كيده ما فَلَح ولا أفلح.

ثمَّ يظهر سيدنا أنسٍ – ﷺ – العلَّة التي تجعله على هذا الثبات ، وذاك الرسوخ في الفعل وردِّ الفعل، في الأخذ والعطاء، ورد السؤال بالسؤال،

==

مالك(٣/ ١٩٥).

(١) **شرح التسهيل لابن مالك**(٣/ ١٩٥).

(٢) **التعليقة على كتاب سيبويه** (٢/ ١٩٧).

(٣) **ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**(٢/ ٤٧٩).

والجواب بالكفاية التي تغني عن الزيادة للإفادة، فاستعمل القسم وبين سبب احتماله لما يكره، وهو (بنيات).

وفصل بين الجملتين جملة (والله) وجملة (لولا الصبية الصغار) لكمال الاتصال بين الجملتين، حيث وقعت الجملة الشرطية تأكيدًا لجملة القسم، والتوكيد من موجبات الفصل، وإلى المعنى الذي تحمله (لولا) والغاية من استعمالها يشير بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (المتوفى: ٧٤٩هـ) إلى ذلك فيقول: "**لولا**: حرف له قسمان: الأول: أن يكون حرف امتناع لوجود... والصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها، فإن كانت الجملتان بعدها موجبتين فهي حرف امتناع لوجود، نحو قولك: لولا زيد لأحسنت إليك، فالإحسان امتنع، لوجود زيد، وإن كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع، نحو: لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك، وإن كانتا موجبة ومنفية ، فهي حرف وجوب لوجوب، نحو: لولا زيد لم أحسن إليك[١]".

وبذلك فقد علَّق مبالاته ﷺ بوجود صبية صغار، ونفي مبالاته بطريقة وهيئة القتل إن قُتِل، أو الموت إذا جاءه قدر الله، وقدم القتل على الموت في صياغة الجملة (مَا بَالَيْتُ أَيَّ قِتلةٍ قُتِلْتُ، وَلا أَيَّ مِيتةٍ مِتُّ)؛ لأن الموقف الذي هو فيه موقف مقتول لا محالة، وقد دلَّ على ذلك استعماله لـ (لولا) لأن فعل الشرط موجب (الصبية الصغار) وجوابه منفي (مَا بَالَيْتُ)، أي: أن عدم المبالاة موجود مسبقًا، وكأن الحال من بدء الحديث إلى ختامه بكل ما اشتمل من تهديد ووعيد، وغمز ولمز، وجلجلة لسيف السلطان، فكأن كل

---

(١) **الجنى الداني في حروف المعاني** (٥٩٨) .

ذلك لم يعبأ به سيدنا أنسٍ – ﷺ – وما أثار حفيظته واهتمامه، وعليه فهو غير مبال بمن دبّر لإنشاء هذا اللقاء.

فرضي الله عنه وعن جميع صحابة رسول الله – ﷺ – أجمعين [1]".

(١)وقبل أن تحكم على الحجاج بن يوسف الثقفي بحكْمٍ قد تكُونُ فيه مظنَّةُ جَوْرٍ، أو شُبْهَةُ ظُلْمٍ، فقد حَسَدَه من تثق في إيمانهم، وزُهْدِهِم، وتَقْوَاهُم، ومنهم الحسن البصري، وعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وهذا ما أورده الذهبي ، وابن عساكر **في: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** – لشمس الدين بن قَايْماز الذهبي تـ ٧٤٨هـ(٦/ ٣٢٦) تحقيق: عمر عبد السلام التدمري– دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية– ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، **تاريخ دمشق** (١٢/ ١٩٥)

الدراسة التداولية:

وإذا ما أجريت الأسس التداولية والمسلمات التي وضعها (بول غرايس) لمبدأ التعاون الذي رسخه عند تداولية الخطاب، ستلحظ جليًا الخروقات التي صنعها الطرفان في تلك المحاورة، وينهض مبدأ التعاون الذي وضعه (غرايس) حين تقعيده لنظريته المحادثية التي نصت على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام، **والتعاون** هو ذاك المبدأ العام، وله أربع مسلمات، وهنَّ: (مسلمة القدْر (الكميَّة) Quantite، مسلَّمة الكيْف (الكيفيَّة) Qualite، مسلمة الملاءمة Pertinence، مسلمة الجهة (الأسلوب) Modalite[١]).

ولابد من خرْق إحدى هذه المسلمات الأربع لحصول ظاهرة الاستلزام الحواري كما أشار (غرايس)، وبالتطبيق العملي لتلك المسلمات تظهر الخروقات والعلة منها، فالنص كما أورده الراوي كالآتي:

دَخَلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ- رضي الله عنه- عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ،فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ.

فالرواية تسير في مسارها الطبيعي، ولا احتمالات أخرى لما يحدث حتى تلك اللحظة، دخولٌ على أشخاص، فالمسار الطبيعي أن يسلم الداخل عليهم، فلا خرق لإحدى المسلمات التي أقرها (غرايس) لمبدأ التعاون، والسلام مُفتَتَحُ التواصل الكلامي كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ**

---

(١) **يُنظر: التداولية عند العلماء العرب(٣٤).**

عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ[1]﴾.

وكذلك فعل سيدنا أنسٍ – ﷺ –، لكن إجابة الحجاج **(إِيهٍ يَا أُنَيْسُ، يَوْمٌ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ)**، فيها خرق من ثلاث جهات، وهي كالتالي: **الجهة الأولى:** خرق من جهة **الملاءمة**؛ وذلك لأن إجابة الحجاج لا تتلاءم مع إلقاء السلام الذي ألقاه سيدنا أنسٍ – ﷺ –، فالأوْلَى أن يردّ السلام، وبهذا الخرق تحدث قاعدة الاستلزام الحواري والافتراضات المسبقة، فإن الاستلزام التخاطبي وفقًا لـ (غرايس)، ينتج عندما تُنتهك إحدى الأسس أو بعضها في الخطاب، أو عندما يغيب المعنى الضمني في المحادثة، ففي مثل هذه الحالة يمكنك تقدير الافتراض الذي ينصّ، بأن تعاون المتحدثين لا يتحقق إلا بتفسير الكلام من منظور يخالف دلالته أو يزيد عن معناه الحرفي.

ودلَّ ذلك على وجود علاقة قائمة بين أطراف المحادثة، وأن هناك اختلافًا متحققًا في وجهات النظر بين الطرفين، وعلى ذلك ، فإن الإشاريات[2]سيكون لها النصيب الأوفر في تحديد الافتراضات المسبقة التي من خلالها سيعمل البحث جاهدًا للوصول إلى أقرب معنى يمكن الوصول

---

(١) **سورة النور** آية (رقم: ٢٧).

(٢) يشير الدكتور/ محمود نحلة إلى أنواع الإشاريات التي أقرها (غرايس) في قاعدته المحادثاتية قائلًا: "وأغلب الباحثين على أن الإشاريات خمسة أنواع: إشاريات شخصية، إشاريات زمانية، وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية أو نصِّية، واقتصر بعضهم على الثلاثة الأول، وبعضهم على الأربعة الأخر". **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**– د/ محمود أحمد نحلة(٢٢) دار المعرفة الجامعية– ٢٠٠٢م.

إليه، حتى يكون النقد بنَّاءً وفي نصابه الصحيح.

الجهة الثانية: خرق من جهة **القدْر** (الكمية)، فقد كان كلام الحجاج أطول مما ينبغي أن يكون عليه الجواب، فقد ذكر الأسباب التي جعلته يستدعي سيدنا أنس – ﷺ –، وفي إبرازه لتلك الأسباب جعلته ينحرف عن المسلمات التي رسخها (بول غرايس) لنجاح عملية الخطاب أو التواصل الكلامي؛ وذلك لأن مشاركة الحجاج في عملية التواصل الكلامي، قد أفادت أكثر مما هو مطلوب.

الجهة الثالثة: وهي خرق من جهة **الكيف**، لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه، فقد ادعى الحجاج أن سيدنا أنسٍ – ﷺ – كان على عداء دائم مع بني أمية، وهو الممثل عنهم في تلك المحاورة، وسرد أدلته التي اتكأ عليها لخرق القاعدة، لكنها كلها اعتقادات وأقوال مرسلة تحتاج إلى الأدلة القاطعة لإثبات صدقها، ويستدل البحث على عدم قطعية أدلة الحجاج بالرواية التي رواها ابن الأثير حين أرسل الحجاج إلى سهل بْن سعد – ﷺ –، وقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان – ﷺ – ؟، فقال: قد فعلتُ، فردَّ عليه الحجاج قائلًا: كذبت، ثم أمر بختمه في عنقه، وخَتَمَ – أيضًا – في عُنُقِ أنسٍ بْن مالك ﷺ، حتى ورد عليه كتاب عَبْد الْمَلِكِ بْن مروان فيه، وخَتَمَ في يدِّ جابر بْن عَبْد اللَّهِ– ﷺ[(١)].

فالتنمُّر ظاهرٌ من قبل بدء المحادثة، وكل تلك الخروقات والانحرافات عن السياق أخبرت ضمنيًا أن هناك خلافًا قديمًا بين أطراف المحادثة وشد وجذب، وهذا الحوار هو التتمة لهذا الشد، وذاك الجذب.

---

(١) **ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة** (٢/ ٥٧٥).

وبرز جليًا تأثير الأشكال الإحالية – الإشاريات – التي ترتبط بسياق المتكلم في إبراز المعنى، وهذه الأشكال الإشارية التي أظهرها الحجاج ليدعم أفعاله وتصرفاته بالحجة والبرهان قد أبرزت أهميتها، ومنها: الإشاريات الزمانية التي ساقها الحجاج ؛ ليخبر سيدنا أنسٍ – ﷺ – العلة من استقدامِه على تلك الحال، فيقول:

"يَوْمٌ لَكَ مَعَ عَلِيٍّ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَوْمٌ لَكَ مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ".

فهذه اللمحة التاريخية التي ساقها الحجاج كبرهان على صدق دعواه وتأييدٍ لأفعاله، أفصحت عن المعنى المكنون بالضمير والمستور بين طيات السطور؛ لتعطي المتلقي صورة ثلاثية الأبعاد – صورة مجسمة – للحدَث التداولي بين أطراف المحادثة، والتعرف على ملابسات المحادثة التي جعلت كل من أحاط عِلمًا بفعلة الحجاج تلك، أن يستنكرها ويرميه بالكفر أو الفسوق أو غير ذلك.

فأفصحت هذه الإشارة الزمانية التي اهتمت بها التداولية عن مخرجٍ وتأويل يمكن الاستناد عليه لنفي صفات ألصقها بعض الناس في الحجاج، وهذا المخرج هو البحث عن الثأر لمقتل سيدنا عثمان بن عفّان – ﷺ –، وهذا دليلٌ جِدُّ خطير وحجة قوية لنفي كثيرٍ من الصفات التي نُعِتَ بها الحجاج بن يوسف الثقفي.

ثم يأخذ الحجاج بادرة الكلام ويقسم، **(وَاللَّهِ لأَسْتَأْصِلَنَّكَ كَمَا تُسْتَأْصَلُ الشَّأْفَةُ، وَلأَقْلَعَنَّكَ كَمَا تُقْلَعُ الصَّمْغَةُ)**.

والقَسَمُ في لغة التداول فعل تأكيدي مركب(١)، وقد استعمله الحجاج ليدفع المخاطَب للوثوق بكلامه حتى يهابه أو يرتدع، وإذا ما نظرت إلى المُقْسَم عليه يتراءى لك جليًا كثرة المؤكدات التي نالتْ موقعَها من الجملة، (لام) التأكيد، مع (النون) المشددة، مع (كاف) الخطاب، (لأَسْتَأْصِلَنَّكَ، لأَقْلَعَنَّكَ) فتضافُر كل تلك المؤكدات في فعل واحد أعطت الهيئة التي كان عليها الحجاج، تراه منتفخ الأوداج، عاقدًا على حاجبيْهِ بركانًا من غضب، مع جُحُوظٍ بالعينين، يعلُوهُما احمرار قد شابَهُ السَّخَطِ، وترى أنّ رِيقَهُ قدْ ملأَ جَوْفَه حمِيَّة العِزّ بسيفِ مَنْ حَكَم، إنَّ للسلطانِ سيفًا، فكأنه يقول: ها أنا ذا، فيا ويحكم إذا غضب.

وقد أعطت كل تلك المؤكدات صورة تقريبية لهيئة الحجاج، لكن تمهل! فالمحادثة لم تنته بعد، فقد جاء الرد مخالفا لمسلمة (المناسبة)، حتى تنظر إلى العلة من مجيء الكلام على غير استقامته، فالأغراض المتباينة والمختلفة عند كل طرف من أطراف المحادثة وغايته، تجبرهما على الانحراف عن القاعدة لإبراز الحجَّه، وهنا قد أبرز سيدنا أنس – ﷺ – عن الثبات والقوة النفسية، لتلقي هذا التهديد المؤكد بالقَسَم المركب، بتلك الطمأنينة وهذا الرسوخ الإيماني بأن النافع والضار هو الله – جلَّ وعلا –، فلا تجعل صدى الحكم يجعلك تبني افتراضاتك من جهة واحدة.

وذلك لأن الوِجْهةَ الأخرى على قدر من الإيمان، فنُور النبوة يعْلُوها، والحكمة رداءٌ تكسوها، فقد أجابه سيدنا أنسٍ – ﷺ – بكل تلك السهولة في الرد، والبساطة في الجواب، ويقول: **"إِيَّايَ يَعْنِي الأَمِيرُ – أَصْلَحَهُ اللَّهُ –؟"**.

---

(١) **يُنظر: التداولية عند العلماء العرب**(٢١٠ وما بعدها).

فقوله: إياي يعني الأمير، ليس هو الجواب الذي يريده الحجاج، وعلى ذلك فقد خرق مسلمة المناسبة، حيث لم تتلاءم إجابته مع ما يتطلبه الحوار، وكأن الحجاج يريد من سيدنا أنسٍ – ﷺ – أن يسأله عن العلة لهذا القسم والتغليظ فيه، لكنَّ هذا الانحراف أظهر شيئًا جديدًا في تحديد ملمح من ملامح تلك المحادثة التي تحوي كنوزًا لاستنباط حقائق ترتبط بالعلاقة المتوترة بين الطرفين، مع ما يصاحبها من علَلٍ وأسباب.

ويخرقُ سيدنا أنسٍ – ﷺ – مسلمة الكم، فقد زاد عن القدْر المطلوب بقوله: أَصْلَحَهُ اللَّهُ، فهذه الجملة الدعائية الاعتراضية، أضْفت على الحوار صفة رسمية بإشارته إلى الحجاج بقوله: "الأمير" فهذه الإشارة الاجتماعية التي أشارتْ إلى نوع العلاقة بين الطرفين، وتبين أنها علاقة رسمية؛ وذلك لتعامُل أحد أطراف المحاورة بألقاب اجتماعية رسمية أضفت شيئًا من التبجيل، وتعامل الطرف الآخر بالوعيد والتهديد أضفى نوعًا من أنواع السلطة والتملك لزمام الأمور.

ويردُّ الحجاج قائلًا: **"إِيَّاكَ، – سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ–.**

ففي قوله: إيَّاك، خرق لمسلمة الكم (المقدار) حيث جاءتْ الإجابة أقل من المطلوب، فالحذف الذي استعان به الحجاج لإبراز الغيظ المكنون بصدره، جعله يستقل الكلمات التي يجيب بها، فآثر الحذف الذي لم يخل بالإفصاح عن المعنى، لكنه أقل من المطلوب، والتقدير: إيّاك أعني، وبتطبيق الاستلزام الحواري مع ما يصحبه من الافتراضات المسبقة، يظهر جليًّا أن الحقد الذي نال من كبد الحجاج، والغيظ السجين بصدره، لم يكن وليد اللحظة أو حديث عهدٍ، بل رسَّخته بالقلوب عقودًا وأعوامًا.

ويخرق الحجاج خرقًا آخر لمسلمة الكم (القدر) حيث زاد الجملة

الدعائية (سَكَّ اللَّهُ سَمْعَكَ)، ويستلزم ذلك إظهار ما كان عليه الحجاج من غيظ وحَنَقٍ عند إدارة هذا الحوار، وهو ما لا يتلاءم مع ما عليه من قوة وسلطان، ويدل هذا دلالة واضحة على قوة الطرف الآخر، وأنَّه لابد وأن يُحْتاطَ له كل الاحتياط.

وهذا النوع الحِجَاجي قد أطلق عليه علماء الدرس التداولي بالحجاج التقويمي(١)، ويجيب سيدنا أنسٍ – ﷺ – وكأنما يهزُّ رأسه ممتعضًا بما يدور ويحدث، فهذا الحوار الذي لا طائل من ورائه إلا الترويع –ولم يحصل– ولم يصل إلى الغاية المرجوة من ورائه من إحداث الخوف أو حصول الرهبة، فكل هذا لم يثمره هذا الحجاج التداولي، فكانت التتمة له، إنّا لله وَإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُون.

مع استعمال فعل تأكيدي مركب ليُنهي به هذا الحوار، معلِّقا كل ما به على الشرط، "**وَاللَّهِ لَوْلا الصِّبْيَةُ الصِّغَارُ، مَا بَالَيْتُ أَيَّ قِتلةٍ قُتِلْتُ، وَلا أَيَّ مِيتةٍ مِتُّ**" مع ما اشتملت عليه تلك الجملة من خرق لمسلمة الملاءمة (المناسبة)، وذلك لأن مشاركة هذه الجملة غير ملائمة لهذا الدعاء الذي دعا به الحجاج على سيدنا أنسٍ – ﷺ –، وإنما أبرز ما وقر في القلب حتى لا يُكثر التهديد والوعيد ؛لأنه ليس من ورائه نفع.

---

(١) **الحجاج التقويمي** هو: "إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتًا ثانية، ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكتف المستدِلّ بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب...بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي". **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**– لعبد الهادي بن ظافر الشهري(٤٧٣) دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٤م.

فكما هو واضح في الأمثلة المبيّنة سَلَفًا، أن المتحدث يستخفّ –في الواقع– بأسس التعاون، ومع هذا المعنى الضمني الذي ينشأ –أحيانًا– من أجل منع الاستخفاف بالقاعدة، واشتملت المحادثة على كثير من الأقوال المضمرة ، وهي كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث[1].

(١) **التداولية عند العلماء العرب**، (٣٢).

تحليل رسالة أنس إلى عبدالملك:

وبعد هذا الجدال القائم بين أطراف المحادثة، والبلاغة والمتعة اللُّغوية التي سال بها لسان كل طرف، والفصاحة التي تعلوها الحكمة، ويزيّنُها العقل حين الأخذ وعند الردّ، فقد أخذَتْ كلماتُ كل طرَف موقعَها من قلب صاحبه، وأحْدَثَتْ ما أحْدَثَتْه فيه وطوَتْه النفوس، خرج سيدنا أنس – ﷺ – مِنْ عِنْدَ الْحَجَّاجِ، فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدُ الْمَلِكِ كِتَابَ أَنَسٍ اسْتَشَاطَ غَضَبًا، وَصَفَّقَ عَجَبًا، وَتَعَاظَمَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَجَّاجِ.

وَكَانَ كِتَابُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١)

إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَإِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لِي هَجْرًا، وَأَسْمَعَنِي نُكْرًا، وَلَمْ أَكُنْ لِذَلِكَ أَهْلا.

فَخُذْ لِي عَلَى يَدَيْهِ، فَإِنِّي أَمُتُّ بِخِدْمَتِي رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَصُحْبَتِي إِيَّاهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

---

(١) وعن الكيفية التي تُكتب بها (بسم الله الرحمن الرحيم)، يقول معاوية بن أبي سفيان ﷺ: "كنت أكتب بين يدي رسول الله ﷺ فقال: "يا معاوية أَلْقِ الدَّوَاةَ، وَحَرِّفِ الْقَلَمَ، وَأَقِمِ الْبَاءَ، وَفَرِّقِ السِّينَ، وَلَا تَعْوِرِ الْمِيمَ، وَحَسِّنْ الله، وَمُدَّ الرَّحْمَن، وَجَوِّد الرَّحِيم. **فتح الباري**– لابن حجر العسقلاني (٧/ ٥٠٤) –دار المعرفة، بيروت– ١٣٧٩هـ، **وفضائل القرآن** – لأَبُي العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ النَّسَفِيُّ تـ ٤٣٢هـ(١/ ٤٣٦) تحقيق: أحمد بن فارس السلوم– دار ابن حزم، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٨م.

وبالنظر إلى تركيب ونظم هذه الرسالة، سيتضح مع تطبيق القاعدة البلاغية الغرض من وراء صياغتها على تلك الحال، فقد استهل بما استهل به الله – جل وعلا –، فاستفتح رسالته بما استفتح به كتاب الله – جلَّ وعلا–، وفي تأويلها يقول أبو جعفر الطبري:

"إن الله –تعالى ذكره وتقدَّست أسماؤه– أدّب نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديمَ ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدَّم إليه في وَصفه بها قبل جميع مُهمَّاته، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلَّمه إياه، منه لجميع خلقه سُنَّةً يستَنُّون بها، وسبيلا يتَّبعونه عليها، فبه افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم، وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: "بسم الله"، على ما بطن من مراده الذي هو محذوف.

وذلك أن الباء من (بسم الله) مقتضية فعلًا يكون لها جالبًا، ولا فعلَ معها ظاهرٌ، فأغنت سامعَ القائل: "بسم الله" معرفتُه بمراد قائله، عن إظهار قائل ذلك مُرادَه قولًا؛ إذْ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمرًا، قد أحضرَ منطقُه به –إمّا معه وإمّا قبله بلا فصْلٍ– ما قد أغنى سامِعَه عن دلالةٍ شاهدةٍ على الذي من أجله افتتح قِيلَه به، فصار استغناءُ سامع ذلك منه عن إظهار ما حذف منه[1]".

ويزيد فخر الدين الرازي في بيان معناها ويُوضِّح قائلًا: "من مباحث هذه الآية: أن (الباء) في قوله: "بسم الله"، (باء) الإلصاق، وهي متعلقة بفعل، والتقدير: باسم الله أشرع في أداء الطاعات، وهذا المعنى لا يصير ملخصًا معلومًا إلا بعد الوقوف على أقسام الطاعات، وهي العقائد الحقة،

---

(١) **جامع البيان في تأويل القرآن** (١/ ١١٤).

والأعمال الصافية مع الدلائل والبينات، ومع الأجوبة عن الشبهات، وهذا المجموع ربما زاد على عشرة آلاف مسألة.

ومن اللطائف أن قوله: "أعوذ بالله"، إشارة إلى نفي ما لا ينبغي من العقائد والأعمال، وقوله: "بسم الله"، إشارة إلى ما ينبغي من الاعتقادات والعمليات، فقوله: "بسم الله"، لا يصير معلوما إلا بعد الوقوف على جميع العقائد الحقَّة، والأعمال الصافية، وهذا هو الترتيب الذي يشهد بصحته العقل الصحيح، والحق الصريح(١).

وعلى المعنى الذي أشار إليه فخر الدين الرازي، تكون (بسم الله الرحمن الرحيم) لازم فائدة الخبر، حيث إنها قد أتت بعد تمام معرفة العقائد الحقة، فالافتتاح بها ليس خبرًا يخبر به سيدنا أنس – ﷺ – عبد الملك بن مروان، وإنما لازم الفائدة التي سيبني عليها ﷺ حجته بأنه ليس أهلًا لمعاداة الحجاج له، وأنه من غير اللائق أن تكون هذه المعاملة التي وجدها من الحجاج بن يوسف هي المعاملة التي تليق بخادم رسول الله ﷺ .

ثم يُقدِم سيدنا أنسٍ ﷺ المُرْسل إليه، امتثالًا للتوجيه النبوي، فقد روى أبو موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ(٢)".

---

(١) **مفاتيح الغيب** – التفسير الكبير – لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي تـ٦٠٦هـ(٢٣/١) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة–١٤٢٠هـ.

(٢) **سنن أبي داود** – لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني تـ ٢٧٥هـ(٧/ ٢١٢)، حديث رقم: ٤٨٤٣، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي– دار ==

فقدَّم الغاية قبل البداية لمنزلته التي أحلَّهُ الله – تعالى – إياها، بغرض التنبيه على ما ينبغي على عبد الملك بن مروان فعله، حيث هو رأس الأمر وسنامه، فيقول سيدنا أنسٍ ﷺ:

"إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ – أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ – مِنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ".

وفصل بين جملة (إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ) وجملة (أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) حيث كانت الجملة الثانية واردة على جهة الإيضاح والبيان بالإبدال(١)، ففصل بينهما حتى لا يتوهم أن أمير المؤمنين غير عبد الملك بن مروان، ثمَّ أخّر (مِن) التي تدل على الابتداء(٢)، وهذا الطباق القائم بين حرفي الجر المستعملين (إلى) للنهاية، و(من) للمُبْتَدَأ وقد أشاع لونًا من الحسن المعنوي، أظهر جانبًا من الفصاحة التي حيزت لسيدنا أنسٍ ﷺ.

أما قوله ﷺ: "أَمَّا بَعْدُ(٣)"، فـ (أما) حرف فيه معنى الشرط، لا حرف

==

الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى-١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(١) **ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** – ليحيى بن حمزة العلويّ تـ ٧٤٥هـ(٣/ ١٦٩) المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢٣هـ.

(٢) يقول ابن السراج: "أما "من" فمعناها: ابتداء الغاية، تقول: سرت من موضع كذا إلى موضع كذا، وفي الكتاب، من فلان إلى فلان، إنما يريد: ابتداؤه فلان". **الأصول في النحو** (١/ ٤٠٩).

(٣) قَدْ ثَبَتَ كَمَا فِي بَعْضِ الشُّرَّاحِ أَنَّهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَتَى بِهَا فِي خُطَبِهِ وَكُتُبِهِ فَيُسْتَحَبُّ الْإِتْيَانُ بِهَا فِي أَوَائِلِ الْخُطَبِ وَالْكُتُبِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وذَكَرَ الْحَافِظُ الرَّهَاوِيُّ فِي أَرْبَعِينِهِ عَنْ أَرْبَعِينَ صَحَابِيًّا أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَقُولُ: "أَمَّا بَعْدُ"، فِي خُطْبَتِهِ وَشَبَهِهَا. **شرح مختصر خليل** – محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله تـ (١/ ٣٢) دار الفكر للطباعة، بيروت، ==

شرط، وهي هنا مجردة عن معنى التفصيل، و(بعدُ) هي من الظروف المبنية ما لم تضف لفظًا ومعنى، ويؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر.

ثم قال: (أما بعدُ) ببناء "بعد" على الضم، ظرف زمان حذف منه المضاف إليه، ونُوي معناه، وكلمة أما بمعنى الشرط، أي: مهما يك من شيء فقد كان كذا، وتلزم (الفاء) في تالي تاليها، والتقدير: أما بعد كلامي هذا فإني(١).

وعلى ذلك فقد اتبع سيدنا أنسٍ ﷺ المنهاج النبوي من بدء الرسالة باستهلاله بالبسملة، ثم إنزال عبد الملك بن مروان منزلته التي هو عليها، حيث قدَّم المرسل إليه على المرسل منه، ثم سار على النهج ذاته في الانتقال بين الأغراض، فهذه الرسالة التي بين يديك هي التطبيق العملي لتربية النبي ﷺ لأصحابه ﷺ أجمعين.

ويدخل ﷺ في نص الرسالة مستعملًا (الفاء) التي تلزم تالي فصل الخطاب (أمَّا بعد)، ثمّ يؤكد الكلام عن طريق (إنَّ)، وبهذا التأكيد فقد أنزل عبد الملك بن مروان منزلة المتردد، فأخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، حيث أنزل غير العالم بالحكم، منزلة المتردد فيه، وأكده بمؤكد واحد قائلًا: "**فَإِنَّ الْحَجَّاجَ**".

==

الطبعة: بلا طبعة ، من دون تاريخ.

(١) **ينظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى** (١/ ١٧)، **وكوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري** – لمحمَّد الخَضِر بن سيد الشنقيطي(٢/ ٤٥٥) مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، وقد أشار الشنقيطي إلى الاختلاف حول من نطق بها ، وأشار إلى القول الفصل في ذلك، فليراجع.

وبعدما فصل الخطاب بين الاستهلال ، والغرض الأصلي للرسالة شكاته الحجاج، دخل بإبلاغ عبد الملك مروان بأوجز عبارة وأخصر طريق، (إنَّ الحجاج قال لي هجرًا)، مؤكدًا كلامه عن طريق (إنَّ) وإنزاله على غير ما هو عليه، وذلك لعلمه بالحجاج وشأنه، فلا عجب من الشكاية التي يشكوها خادم رسول الله ﷺ، فقد أحدث الحجاج العظام من الأمور ،وأريقت في عهده كثير من الدماء.

وأسند الفعل وأتى بالمفعول به (هجرًا) مصدرًا ؛ ليشمل كل أنواع الكلام التي يمكن أن تكون مصدرًا للهجران، وكذلك صنع في بنائه الجملة الثانية، وتدل على الترقي من حال إلى حال، فالبناء الطبيعي تكلم فأسمع، فترقى سيدنا أنسٍ ﷺ من الكلام إلى السماع، وإذا كان القول يأتي بالهجر، فالسَّمع أولى بالنكران، وإشارة إلى المنزلة التي عليها ذكَّره بها، وهي أنه ليس بأهلٍ لهذا الهجر وذاك النكران.

قَالَ لِي هَجْرًا، وَأَسْمَعَنِي نُكْرًا، وَلَمْ أَكُنْ لِذَلِكَ أَهْلا.

ثم استعمل فعل الأمر على غير حقيقته ، فاستعمله في معنى الالتماس على سبيل التلطف، كقولك لمن يساويك في الرتبة: افعل، بدون الاستعلاء[1]، في قوله: فَخُذْ لِي عَلَى يَدَيْهِ، ثم أبرز حجته التي آثر الإطناب فيها؛ ليذَكِّر بما هو عليه من منعة وحماية وأدب فيقول: **فَإِنِّي أَمُتُّ بِخِدْمَتِي رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَصُحْبَتِي إِيَّاهُ.**

وفي تأكيده لجمله دليل على أن الضيق بفعل الحجاج قد أخذ موقعه،

(١) ينظر: **الإيضاح في علوم البلاغة** ٣/ ٨٦.

وكأنه ﷺ يريد من عبد الملك بن مروان أن يعلم ما حلَّ به وهو ليس لذاك أهل، ومن العجب أنه لم يرشده إلى نوع العقوبة، أو لم يغلِّظ في القول، بل آثر اللطف واللين في الموضع الذي يصير فيه هو الموضع التام لإبرازه، فيقول له: خُذْ لي على يديه، فلك الله يا أنيس!، وكأنه يريد فقط أن يجعله يكفُّ عن إيذائه.

ثم يختتم رسالته بمثل الذي كان يصنعه رسول الله ﷺ. وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

تحليل رد عبدالملك على أنس:

وَمَا إنْ وصلَت رسالة سيدنا أنسٍ ﷺ إلى عبد الملك بن مروان حتى هبَّ غاضبًا، ولكن أجابه جواب الحكيم؛ وذلك لما عليه عبد الملك بن مروان من رجاحة عقل، ورزانة فكر، وتمام فقه، وحسن حكمة، وقدرة على القيادة والريادة (١).

فما كان على مَنْ هذه شاكلته، إلا أن بَعَثَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، وَكَانَ مُصَادِقًا لِلْحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهُ:

دُونَكَ كِتَابيّ هَذَيْنِ فَخُذْهُمَا وَارْكَب الْبَرِيدَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَابْدَأْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَادْفَعْ كِتَابَهُ إِلَيْهِ، وَأَبْلِغْهُ مِنِّي السَّلامَ، وَقُلْ لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْحَجَّاجِ الْمَلْعُونِ كِتَابًا إِذَا قَرَأَهُ؛ كَانَ أَطْوَعَ لَكَ مِنْ أَمَتِكَ، وَكَانَ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

---

(١) وقد أشار ابن سعد ، وابن الأثير إلى كلام فضلاء العصر في مدح عبدالملك بن مروان، ينظر: **الطبقات الكبرى** (٥/ ٢٢٤)، **الكامل في التاريخ** (٣/ ٥٣٣)..

واستهل عبد الملك بن مروان بما استهل به سيدنا أنسٍ ﷺ وما هو مأثور عن رسول الله ﷺ في افتتاحه رسائله، وقد وُضِّح ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

أَمَّا بَعْدُ[1]،

ثم قدَّم (من) الابتدائية على (إلى) الغائية على عكس صنيع سيدنا أنسٍ ﷺ ، وكأن الغرض من تقديمها العناية والتنبيه، أن الرسالة قد بلّغتْ الشِّكاية، وبَانَ ما هو مطوي بين حروفها الصامة، وقد اتُخِذت الإجراءات سريعًا لإجابة الطلب، وإزالة الشكوى، والترويح من الذي أغمَّ وأهمَّ، فكأن إجابة الطلب أقرب إليه غاية من البعد الموجود الذي تشير إليه (إلى)؛ وذلك لأن الأصل فيها أن تكون لانتهاء الغاية تقول: (جئت إليك)، أي: نهاية مجيئي إليك[2]، وقد قال سيبويه: "وأما (إلي) فمنتهي لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا، وكذلك (حتى)، وقد بين أمرها في بابها، ولها في الفعل نحوٌ ليس لـ (إلي)، ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي: إنما أنت غايتي، ولا تكون (حتى) ههنا، فهذا أمر (إلي) وأصله وإن اتسعت، وهي أعم في الكلام من (حتى)، تقول: قمت إليه، فجعلته منتهاك من مكانك[3]".

---

(١) قد أبرز البحث بالصفحات السابقة القول في (أما بعد) واستلزامها (الفاء) في الجواب.

(٢) **ينظر: معاني النحو** (٣/ ١٦).

(٣) **ينظر: الكتاب** (٤/ ٢٣١).

وكأن سيدنا أنسٍ ﷺ لم يكتب رسالته إلا بعد عهدٍ طويل من الصبر على الأذى، فمفهوم استعمال (إلى) الذي أشار إليه سيبويه حين استشهد قائلًا: يقول الرجل: إنما أنا إليك، أي إنما أنت غايتي، قمت إليه، فجعلته منتهاك من مكانك، يشير إلى أن الغاية النهائية من كل ابتداء نهايتها إلى لعمومها لمعنى الغاية.

وكذلك في المطابقة بين استعمال عبد الملك بن مروان في مستهل رسالته لـ (من)، وقد أشار إلى ذلك سيبويه بأنها لابتداء الغاية المكانية(١)، فاستعمالها في الأشخاص مجاز على طريق الاستعارة المكنية، وطريقة إجراء الاستعارة على هذا الوجه يكون قد شبه نفسه بالمكان، ثم حذف المشبه به وأبقى لازمًا يدل عليه وهو حرف الجر (مِنْ) المستعمل في الابتداء المكاني، وإثبات حرف الجر في الاستعمال مع الأشخاص استعارة تخييلية ؛ لأنه لازم المشبه به، وكأن المعنى البعيد من هذه الاستعارة الذي ظهر بتحديد المعنى الأصلي لحرف الجر ، وأشار إليه سيبويه.

وهذا المعنى أن كلماته الكائنة بطيات الرسالة ويحملها ساعي البريد، ما هي إلا صورة مصغرة من صاحب الرسالة ذاته، وكلما قطعت بُعدًا مكانيًا فكأنه هو الذي قطعه بذاته، وبوصول الرسالة إلى الغاية النهائية، فكأن مرسلها هو الذي وصل بذاته، فصارت مجازًا؛ لأن الذوات لم تتحرك من مواقعها، وإنَّما أجزاء تتصل بهم، فأطلق الجزء على الكل، وكذلك

(١) يقول سيبويه: "أما (من) فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا، وتقول إذا كتبت كتابًا، من فلان إلى فلان، فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها. **الكتاب لسيبويه** (٤/ ٢٢٤).

استعمل الحروف وهي أجزاء، لتدل على أصل معانيها الكلية التي تحملها وتشير إليها.

وكل تلك المعاني المحتملة أتَتْ من الاستعمال الأمثل لحروف اللغة العربية، ووضعها في موضعها لتبرز الجمال الكائن باللغة العربية، ودللت على البيان الذي حيز لأصحاب تلك الحادثة التاريخية التي ترويها كتب التاريخ، وتحمل الكثير من القيم والمبادئ التي إن رُسِّخَتْ في المجتمعات دعائمها وفي قلوب الشباب شُيِّدَت منابرها؛ لتغير الحال إلى حال آخر أكثر إشراقًا وتألقًا ورحابة صدر.

واستهلاله بـ(من) يشير وكأن مسير البريد أطول أمدًا من إجابة الطلب، فالإجابة أسرع، فأوجز القول وحقَّقَهُ عن طريق (قد) التي دخلت على الفعل الماضي ، فأكسبته التأكيد والتحقق، وردَّ قائلًا:

"فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَكَاتِكَ لِلْحَجَّاجِ".

فـ (الفاء) لفصْل الخطاب بين تالي (أمّا بعدُ)[1]، و(قد) حرف يكسب الماضي معنى الحال إذا دخل عليه ، ولا يكون الفعل الماضي حالًا إلا مع (قد) كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني[2].

قد قرأتُ كتابك، كما أكد ﷺ بمؤكد واحد كذلك فعل عبد الملك بن مروان، وكما بنى ﷺ جملته على الإيجاز في التعريف بشكواه حين عرضها

---

(١) **ينظر: كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري** (٢/ ٤٥٥).

(٢) يقول عبد القاهر الجرجاني: "– الفعل – الماضي، وهو لا يقع حالًا إلا مع "قد" مظهرة أو مقدرة". **دلائل الإعجاز** (٢٠٩).

في رسالته، "قَالَ لِي هَجْرًا، وَأَسْمَعَنِي نُكْرًا، بمثل صنيعه كان الجواب من عبد الملك قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ، فهذا التناغم الفطري في الطلب وعند الجواب، أبرز عن مكنون علمي ومعرفة تامة بمنازل كل منهما عند الآخر.

وعندما ذكر سيدنا أنسٍ ﷺ أنه ليس أهلًا ؛ لأن يصنع معه هكذا – وَلَمْ أَكُنْ لِذَلِكَ أَهْلا –، لم ينسَ عبد الملك أن يجيب حتى على التفاصيل المستورة بجمال اللغة العربية ولابد من الغوص للتعرف على ذخائرها، أجابه مطنبًا، جابرًا له قائلًا:

"وَمَا سَلَّطْتُهُ عَلَيْكَ، وَلا أَمَرْتُهُ بِالإِسَاءَةِ إِلَيْكَ".

فوصل بين جملة (فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَكَاتِكَ لِلْحَجَّاجِ) وجملة (وَمَا سَلَّطْتُهُ عَلَيْكَ) وذلك للتوسط بين الكمالين ، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى؛ وكأن عبد الملك بن مروان يعدِّد الاحتمالات التي من الممكن أن تطرأ بالخيال، ودلت هذه التبريرات على أن العلاقة ليست على التمام بين الطرفين.

وفي استعمال عبد الملك بن مروان (ما) النافية مع التسليط، و (لا) النافية في الإساءة فضيلة ، وفي الفرق بين الحرفين في النفي يقول أبو هلال العسكري: "الفرق بين (لا) و(ما): أن (لا) سؤال استفهام، كقولك: أتقول كذا؟، فيكون الجواب: (لا)، و(ما) جواب عن الدعوى، تقول: قلت كذا، فيكون الجواب: (ما) قلت[١]".

(١) **معجم الفروق اللغوية**) ٤٦١).

وكأنّ عبد الملك يبرئ نفسه من أمر قد وقع ودعوى أقيمت؛ وذلك لأنه القائم على الأمر، فهو الخليفة للمسلمين، وفي معتقد الجميع أن الحجاج يأتمر بأمره، ولا يفعل إلا بعد مشاورة واتخاذ قرار، فنفى بـ (ما) أولًا عن التسليط ؛ لأن الأذى قد وقع، وقد ظهر أنه قد طال أمده وزمانه حتى أظهر الشكاية سيدنا أنس ﷺ، والظن أن مثل سيدنا أنس ﷺ لن يظهر الشكوى في بدء الطريق، لابد وأنه قد صبر إلى المنتهى، ويؤكد ذلك الرواية التي رواها ابن عساكر[1]، فالظن كل الظن أن هذا الأمر برمته لن يخرج عن كونه قد أمر بذلك، هذا في استعماله (ما) في التسليط.

أما استعماله (لا) في الإساءة ، فقد أبرزت الفطنة التي كان عليها عبد الملك بن مروان حيث نفى أي سؤال سيقع في نفس سيدنا أنسٍ ﷺ من أن يكون قد وقع في خاطره أن يسيء عبد الملك إليه ، فأسرع عبد الملك بنفي أن يكون قد أمر بإساءة تحاك خيوطها ؛ليقع في براثنها سيدنا أنس ﷺ، وما كان له أن يفعل ذلك وهو العالم بقدره ومقداره.

ثم ختم رسالته إلى سيدنا أنسٍ ﷺ بما يرَوِّي ظمأ الصادي فيقول:

(١) أنبأنا جعفر أنبأنا جرير عن سماك بن موسى الضبي قال: أمَرَ الحجاج أن تُوَجَّأَ عُنُق أنسٍ بن مالك، وقال: أتدرون من هذا؟، هذا خادم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتدرون لم فعلت به هذا؟، قالوا: الأمير أعلم، قال: لأنَّه سيء البلاء في الفتنة الأولى، غاش الصدر في الآخرة". **تاريخ دمشق لابن عساكر** (١٢/ ١٧١).

"فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَاكْتُبْ إِلَيَّ بِذَلِكَ، أُنْزِلْ بِهِ عُقُوبَتِي، وَتَحْسُنْ لَكَ مَعُونَتِي، وَالسَّلامُ".

علق فعل الحجاج على الشرط غير المقطوع بوقوعه، مستعملًا (إنّ) وكأنها دلالة لطمأنة سيدنا أنس ﷺ بأن ذلك لن يحدث ثانية، فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا، وكأنه يثق تمام الثقة أنَّ الحجاج لن يعود فاستعمل (إنْ) ليشير إلى ذلك.

وأخبره بالنتيجة مسبقًا إذا وقع، سيعجل بإنزال العقوبة، ويسرع في حسن المعونة، وأوجز التحية بقوله: والسلام.

فأبلغ مراده، ووفَّى تفاصيل كتابه، بأوجز عبارة وأخصر طريق، وهكذا تكون رسائل الملوك، ما بها لُمَح لطائفها تُشَمُّ ولا تُدْرك.

فما كان من سيدنا أنس ﷺ بعدما قرأ كِتَابَهُ، وَأُخْبِرَ بِرِسَالَتِهِ، أن دعا له قائلًا:

"جَزَى اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي خَيْرًا، وَعَافَاهُ وَكَافَأَهُ عَنِّي بِالْجَنَّةِ، فَهَذَا كَانَ ظَنِّي بِهِ وَالرَّجَاءَ مِنْهُ.

وتلك هي التتمة لما دار بينهما ، الخاتمة والمشهد الأخير، بهذه الصورة الطيبة في رد الإساءة لمن أساء بالإحسان، وجازى الإحسان بمثله إحسان، فعندما قرأ سيدنا أنسٍ ﷺ رد عبد الملك بن مروان، وهدَأتْ نفسه، واستقر رأيه، وذهب غيظه، ما كان منه ﷺ إلا أن دعا له، لكن جعل دعاءه في صورة خبر، فتراه يقول:

" جَزَى اللهُ أَمِيرَ المؤمنين عنِّي خَيْرًا".

وفي إيراد الإنشاء في صورة الخبر نكات بلاغية أشار إليها سعد الدين

التفتازاني وقد سبقت الإشارة إليها[١].

ولا أبلغَ من سيدنا أنسٍ ﷺ خادم رسول الله ﷺ وأفصح الخلق أجمعين، فإيراده الإنشاء في صورة الخبر حتى يشعر المتلقي بالرضا الذي نال من قلبه ، وإن كان رد إساءة الحجاج الفعلية حقيقة، وإصابة سيدنا أنسٍ ﷺ إصابة جسدية بأن ختمه في عنقه كما ورد، وكما ترى بكلمات فيها عرفان بالقدر، وجبران للخاطر، إلا وتراه قد أسرع في الدعاء لعبد الملك بن مروان، والأعجب أنه حريص على إجابة دعائه، فيورده في صورة خبرية أفصحت عما هو كائن بقلبه من الصفح الجميل.

ثم يسند الجزاء لله حتى يكون أوْفى وأوسع فيقول: "جزى الله"، وإذا تأملت في دلائل الرضاء والصفاء الداخلي لدى سيدنا أنس ﷺ تراهُ جليًا حين أورد عبد الملك بن مروان بكنيته ولم يُسَمِّهِ (أمير المؤمنين) وهي كناية عن موصوف، وهي من الكنايات القريبة التي لا تتعدد فيها_الوسائط والطرق؛ ليتضح المُكنَّى عنه، ثم يُقَدِّم متعلق المفعول به وهو الجار والمجرور في قوله "عنِّي"، فتقدير الكلام: **"جَزَى اللهُ أَمِيرَ المؤمنين خَيْرًا عنِّي"**، وتقديم بعض المتعلقات على بعض يلزمه غالبًا التخصيص ،كما أشار إلى ذلك العصام في (أطوله)[٢].

---

(١) **البحث(٢١)، والمطول(٤٣٣).**

(٢) **يقول العصام:** "ويفيد في الجميع أي: في جميع صور تقديم متعلقات الفعل (وراء التخصيص) بعد نكتة التخصيص اهتمامًا بالمقدم، وفيه: أنه لا وجه لتخصيص الاهتمام بما سوى التخصيص؛ إذ لا ينفك التقديم عن الاهتمام". **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم** (١/ ٥٢٨).

وإذا ما تأملت في الجملة الخبرية بجملتها، حيث وقعت موقع الإنشاء، ففيها مجاز مرسل علاقته اللزومية، حيث إن الحرص على إجابة الدعاء لازم للدعاء أولًا، لابد من فعلٍ للدعاء حتى يكون هناك استجابة، والعدول من صورة الإنشاء إلى صورة الخبر إيراد للكلام على غير حقيقته، ولا يفهم من بناء الجملة أن الغرض منها تشبيه، فلا تشبيه ولا استعارة هنا متولدة من التشبيه، ولا يراد بها كناية فلا موصوف ولا صفة ولا نسبة، وحين التأمل في علاقات المجاز المرسل المتعددة، من بينها جميعًا ترى علاقة اللزومية(١) شمسها مشرقة؛ لأنها تتفق مع المعنى المراد.

ومن جهة أخرى، أن العلاقة مجاز مرسل في استعمال الماضي في الطلب، والعلاقة الضدية، أو مجاز لاستعارة التشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل ، أو للحرص على وقوعه، أما استعمال المستقبل في الطلب ، فيجوز أن يجعل مجازًا ، ويجوز أن يجعل كناية بأن يقال: حصول الفعل في الاستقبال لازم لطلب الفعل في الحال ، فذكر اللازم وأريد الملزوم، وقد منع السبكي أن يكون كناية؛ لأنه فيها يكون خبرًا لفظًا ومعنى مع أنه إنشاء بصيغة الخبر(٢).

ثم وصل بين الجمل عن طريق (الواو) بقوله: "**وعَافَاهُ وكَافَأَهُ**"، ليُعدِّدَ وينوِّع في صيغ الدعاء، وداعي الوصل التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنى، وكذلك الجملة التي تليها.

وإذا ما تأملت في معنى الكلمات التي دعا بها سيدنا أنسٍ ﷺ ترى أنها دعوات شخصية فردية، فالعافية ذاتية، والمكافأة شخصية، حتى يتناسب مع

---

(١) **ينظر: المطول** (٥٧٧).

(٢) **الإيضاح في علوم البلاغة** (٣/ ٩٢).

التخصيص في قوله: "عنِّي"، وتلك ملاءمة أظهرت العلم الدقيق بتفاصيل التفاصيل من كلا الطرفين.

ثم ينقل الكلام من الخبر إلى المشاهدة والمعاينة، وكأن سيدنا أنس ﷺ وهو ينظر إلى رسالة عبد الملك بن مروان، كأن الحياة قد دبَّتْ في أوصال حروفها وكلماتها، ويرى من خلالها الحالة التي كان عليها عبد الملك، فعدَّدَ ونوَّع في الدعاء، وغيَّر الأسلوب من الحديث بلسان الغائب، إلى استعمال اسم الإشارة في قوله:

"فَهَذَا كَانَ ظَنِّي بِهِ والرَّجَاءَ مِنْهُ"، وللمعاني التي تعتلي (الفاء) العاطفة كانت هي الأولى من غيرها في الاستعمال ليتضح المعنى، ومن تلك المعاني ما أشار إليه الدكتور/ محمد أمين الخضري وقد مر ذكرها في ثنايا البحث(١).

فحروف المعاني أجمعها تحتاج إلى مزيد عناية؛ لأن معانيها الحقيقية التي تحملها أكثر بكثير مما هو متعارف بين أهل الصنعة، وعلى ذلك فأنا أؤكد قوله وأدعمه، وبالنظر إلى هذا المعنى ترى أن خللًا في السلوك قد حصل، أدى إلى تغيير في أرض الواقع، وهو تلقي عبد الملك ابن مروان رسالة سيدنا أنسٍ ﷺ بالقدر الذي يليق به.

وبالتأمل في المُشار إليه ترى أنه أمر عقلي تجسد على أرض الواقع، وبالنظر إلى قاعدة الافتراضات المسبقة التي تنتج من خرق أي مسلمة من المسلمات الأربع التي وضعها (بول غرايس)، أي: أنّه في بدء الأمر حين كان يكتب رسالته تلك، وضع احتمالات للقبول وأخرى للرفض، وعلى ذلك

---

(١) **البحث** (٢٣).

فكل حرف بالرسالة مراد لذاته، فأنت في رحاب أرباب البيان.

وعلى ذلك فقد كانت الرسالة في مجملها بالنسبة لسيدنا أنس ﷺ لازم الخبر وليست خبرًا، أي: أنه لا يريد من بادئ الأمر التصديق على الرسالة أو نفيها عند عبد الملك ،بل ليكون هناك ردة فعل لإنهاء هذا الأمر، وقد جاءت الإجابة على وفق ما أراد سيدنا أنس ﷺ، ولذلك أشار قائلًا: "**هذا ظني به**".

ويصل بين الجمل عن طريق (الواو) للتوسط بين الكمالين ؛ وذلك حتى يبرز سيدنا أنس ﷺ للحضور ما دار بخلده حين كان يخط رسالته، فيكمل قائلًا:

"**والرجاء منه**"، واستعمل (الرجاء[١]) لمعناه الذي يحمله وهو إمكانية وقوع الحدث، ولم ييأس بأن ظل صامتًا يتحمل، وعلى ذلك المانع الذي منع سيدنا أنس ﷺ عن مراسلة عبد الملك بن مروان قُبُلًا هو ذاته، ولذلك أثمر رجاؤه وأينع في وقته، وقوبل هذا الرجاء بالقبول، ووضع الخاتمة لانتهاكات الحجاج.

أما عن الجمال الذي في الجملة وذلك عن طريق التجريد، وفي معنى التجريد يقول ابن جني في خصائصه:

"اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريف حسن, ورأيت أبا علي – رحمه الله– به غريًا معنيًا، ولم يفرد له بابًا, لكنه وسمه في بعض ألفاظه بهذه السمة، فاستقريتها منه وأنقت لها، ومعناه: أن العرب قد تعتقد أن في

(١) **رَجَوَ**: الرجاء، ممدود: نقيض اليأس. **العين** ٦/ ١٧٦

الشيء من نفسه معنى آخر, كأنه حقيقته ومحصوله، وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها، وذلك نحو قولهم: لئن لقيت زيدًا لتلقين منه الأسد... وقد تستعمل (الباء) هنا،فتقول: لقيت به الأسد, وجاورت به البحر, أي: لقيت بلقائي إياه الأسد(١)".

وهذا اللون البديعي أضفى على المشهد عمقًا في قوله: **"ظني به"**؛ وذلك لأن الظن ضرب من أفعال القلوب يحدث عند بعض الأمارات، وهو رجحان أحد طرفي التجوز، وإذا حدث عند أمارات غلبت وزادت بعض الزيادة، فظن صاحبه بعض ما تقتضيه تلك الأمارات، سمي ذلك: غلبة الظن، ويستعمل الظن فيما يدرك وفيما لا يدرك(٢).

ويزيد العسكري في بيان معنى الظن من الجهة الأخرى والظانّ نفسه فيقول:

"أن الظان يجوز أن يكون المظنون على خلاف ما هو ظنه(٣)".

وعلى ذلك فقد جرَّد ﷺ من عبد الملك بن مروان شخصًا آخرَ، وألصق به الظنون والرجاء حتى يؤكدها وتكون ألصق بعبد الملك، فكأنه بالتجريد أعاد الكلام مرتين، ومن جهة أخرى: يشير إلى الصفاء والنقاء الذي ملأ قلب سيدنا أنس ﷺ وحُسنِ ظنِّه بالله أولًا، ثم بالناس، فقد ظن به الخير، وذلك على غير ما اعتاده الناس، فإنَّ أوَل ظن أن الأمر لك، ولابد أنك الآمر للحجاج أن يفعل ما يفعله وعلى علمٍ بالأمر.

---

(١) **الخصائص**(٢/ ٤٧٧).

(٢) **ينظر: معجم الفروق اللغوية** للعسكري (٣٤٢).

(٣) السابق (٣٤٣).

لكن سيدنا أنسٍ ﷺ قدوة، ونتاج بيت النبوة، فعلى نهجه ومثله نقتدي، فأبرز المعنى الحقيقي للصفح الجميل، حتى في ظنونه.

وعلى ذلك قد تم التحليل البلاغي للمحاورة والرسالتين، مع الإطلالة التداولية التي أبرزت كثيرًا من خفي المراد من مجمل المعاني.

تعقيب: الخصائص البلاغية التي اتسمت بها المحاورة والرسالتان:

١- الفصاحة والبلاغة التي كست المحاورة والرسائل بجملتها، مع الاعتماد في إظهار المراد على الحبكة اللغوية في بناء الجملة مع ما تشير إليه الألوان البلاغية التي ساهمت في إبراز المعنى، والذي ظهر بعضه منثورًا في تشبيه الحجاج للكيفية التي عليها الإزالة التي توعد بها سيدنا أنسٍ ﷺ، مع القليل من الألوان البديعية التي أعطت رونقًا للمحاورة بين الطرفين، ودلَّ ذلك على تمام أداة كلا الطرفين.

٢- الاستعمال الراقي لحروف المعاني التي وُضِعت في مواضعها ، فأظهرت الجمال الكائن في ذاتها في كونها مُعبِّرة عن ذاتها، وأنه لا غنى عنها مطلقًا في إثبات الفصاحة والبلاغة لمن أحسن الاستعانة بها في إبراز مراده.

٣- بتطبيق قواعد التداولية التي أقرّها (بول غرايس)، مع الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة والمسلمات التي وضعها لتأسيس مبدأ التعاون بين طرفي الحوار، تبين أن التداولية قاصرة عن الإفادة إذا لم يكن هناك مباشرة بين الطرفين؛ لأن الإشاريات التي تكتنف الحوار والتي هي من أبرز المفاهيم التداولية، ستتوه ملامحها إذا كان الحوار بين الطرفين عن طريق الرسائل، فالأصوات التي تجسد الحروف مع ما يعتليها من انفعالات تتسق مع المحادثة، وتساهم في إبراز المعنى التداولي الذي يمكن استنباطه؛ وذلك لأنها تهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال.

٤- القواعد البلاغية التي أقرها العلماء أعم وأوسع صدرًا من النظريات الحديثة التي تهتم باللسانيات ودراسة اللغة؛ وذلك لاشتمالها على كل القواعد التي يمكن إجراؤها على اللغة في الاستعمال ، أو وهي في صورة مكنونة مكتوبة، ويمكن من خلال تلك القواعد إبراز الحالة الشعورية في الحالين لأطراف عملية التواصل.

٥- الاستعمال اللائق للمفردات اللغوية ، وإنزال كل طرف صاحبه منزلته التي تليق به؛ وذلك عن طريق استعمال الألقاب التي تشير إلى ذلك، (إياي يعني الأمير، أمير المؤمنين، خادم رسول الله ﷺ.

٦- أظهر استعمال نظرية التداولية في إبراز العلل التي من أجلها قام أطراف المحادثة بالخروقات التي أدت إلى الاستلزام الحواري ، واستنباط بعض الهيئات التي كان عليها القائل حين يقول، مع ما يكتنف ذلك من التعابير التي تعتلي قَسَمات الوجه حين الحديث.

الخاتمة

بعد ذلك العرض البلاغي، والنقدي، واللغوي، والنحوي، والتداولي للمحاورة، التي دارت بين أنس بن مالك والحجاج الثقفي، وما سبقها من تقديم للراوي، وما تبعها من رسالتي أنس وعبدالملك، وما في ذلك من أساليب وقيم بلاغية، وتحليل ذلك كله بلاغيًا ونقديًا، مع الإفادة في سياق ذلك التحليل من الأسرار والدقائق الفنية واللغوية والنحوية والتداولية، ودعمه بآراء ونظرات البلاغيين والنحويين واللغويين قديمًا وحديثًا، وبعض الآراء والنظرات الشخصية.

بعد ذلك كله تبين ما يلي:

- قدرة المتحاورين ، ودقتهما في محاورتهما، ومحاولة كل منهما استخدام أساليب بلاغية دقيقة، وتعبير فني بديع، يكشف في وضوح عن دخيلة نفسه، ويحقق الجودة والدقة في أسلوب التحاور، وما استخدما فيه من قيم بلاغية ونحوية ولغوية وفنية وتداولية.
- قدمت لنا المحاورة، وما سبقها من تقديم الراوي والرسالتان، مائدة بلاغية ولغوية غنية بالألفاظ والعبارات الدقيقة، والنكات البلاغية البديعة، التي كشفت عن غاية كل من المتحاورين والكاتبين ، وبرهنت بوضوح على ما نفس كل منهما تجاه الآخر.
- قدرة الكاتبين، ودقتهما في صياغة الرسالتين، وبراعة كل منهما في استخدام الأسلوب المناسب؛ للتعبير عن مكنون نفسه، والكشف عن غايته من وراء رسالته بوضوح.
- الالتزام بآداب المحاورة وسموها، ومقارعة الحجة بالحجة، في أسلوب هادئ بناء، ونقاش دقيق هادئ، وردود موضوعية دقيقة من

طرف، والخروج عن تلك الآداب–أحيانًا– من طرف آخر، فعكست المحاورة ما بين الطرفين المتحاورين من فروق، ليس في الجانب الفني فقط، وإنما في الجانب المضموني والأخلاقي أيضا.

- كشفت المحاورة والرسالتان بوضوح عن دخيلة نفس المتحاورين والكاتبين، وشعور كل منهما تجاه الآخر ، ودقة كل منهما في اختيار الألفاظ والعبارات المناسبة، وصياغتها صياغة دقيقة محكمة، فوق ما في الرسالتين من تحديد لمكانة الطرف الآخر، وإنزاله منزلته، وقدرة عبدالملك على تحقيق التناسب بين أسلوبه والمرسل إليه، سواء أنس بن مالك أو الحجاج.
- تعكس المحاورة والرسالتان اللتان ترتبتا عليها ، الرقي البلاغي والبياني في محاورات ورسائل العصر الأموي، وتفنن أصحابها في أسلوب التحاور وفي كتابة الرسالتين، ودقة استخدامهم للأساليب البلاغية واللغوية والنحوية، المناسبة للتعبير عن المضمون تعبيرًا دقيقًا، والكاشفة بوضوح عن مكنون أنفس أصحابها، برغم ما فيها من إيجاز أحيانًا كثيرة.
- تعكس المحاورة والرسالتان اللتان نتجتا عنها أيضا–إلى حد كبير– تطور فني المحاورات والرسائل في العصر الأموي، وازدهارهما ازدهارًا ملحوظًا، وتبلور أسسهما ومقوماتهما الفنية، وتؤكد أنهما قد تقدما بلاغيًا وأدبيًا وفنيًا وموضوعيًا ومضمونيًا تقدمًا كبيرًا في ذلك العصر.

وفي الختام أتطلع أن تكون المحاورة، وتقديم الراوي لها، والرسالتان اللتان نتجتا عنها، قد اتضحت ملامحها البلاغية، وأسرارها الفنية

والمضمونية، ومظاهر البيان الراقي فيها، في سياق البحث، وأن يكون التحليل البلاغي والنقدي للمحاورة والتقديم لها والرسالتين- والوسائل المساعدة له لغويًا ونحويًا وفنيًا وتداوليًا- قد أدى دوره المنوط به في البحث، وحقق الغاية من ورائه، وقدم بحثًا لائقًا يحظى بالقبول، ورضا القراء عنه.

١ – فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة ورقمها	رقم الآية	الصفحة
٢ – سورة البقرة ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.	١٥٥، ١٥٦	٤٠
٣- سورة آل عمران ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾	٣٧	٢٢
٩ – سورة التوبة ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.	١٠٠	٢٣
٢٤ – سورة النور ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.	٢٧	٤٩
٣٦ – سورة الصافات ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾.	٢٤	٢٥
٤٨ – سورة الفتح ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ		٢٣

ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.		
٦٢ - سورة الجمعة ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.	٦	٢٦
٦٣ - سورة المنافقون ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾	٧	٢٦
٩٨ - سورة البينة ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾.	٨	٢٣

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

نص الحديث	الصفحة
جَاءتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَزرتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا، وَرِدَّتْنِي بِنِصْفِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ اللهَ لَهُ، فَقَالَ: " اللهُمَّ، أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ ".	٢٩
"إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ	٥٦

٣- ثبت المصادر والمراجع

- أدوات الإعراب – لظاهر شوكت البياتي- مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية- لعبد الهادي بن ظافر الشهري- دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة: الأولى- ٢٠٠٤م.
- أسد الغابة – لعز الدين ابن الأثير تـ ٦٣٠هـ- تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- الأصول في النحو – لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بـ: ابن السراج تـ ٣١٦هـ- تحقيق: عبد الحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر- د/ محمود أحمد نحلة- دار المعرفة الجامعية- ٢٠٠٢م.
- أنساب الأشراف للبلاذري – لأحمد بن يحيى البَلَاذُري تـ ٢٧٩هـ- تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، عام النشر: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- الإيضاح في علوم البلاغة- للخطيب القزويني تـ ٧٣٩هـ- تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل- بيروت- ط: السادسة- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- البداية والنهاية – لابن كثير تـ ٧٧٤هـ- دار الفكر- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- البداية والنهاية – لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير تـ ٧٧٤هـ- تحقيق: علي شيري- دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- البديع في نقد الشعر –لأسامة بن منقذ تـ ٥٨٤هـ- تحقيق: د/ أحمد بدوي، د/حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى،- الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة- ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي تـ نحو ٤٠٠هـ- تحقيق: د/ وداد القاضي- دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة – لعبد المتعال الصعيدي تـ ١٣٩١هـ- مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر- ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب –لعمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي تـ ٦٦٠هـ- تحقيق: د/ سهيل زكار- دار الفكر، بلا تاريخ.
- تاريخ ابن خلدون
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – لشمس الدين بن قَايْماز الذهبي تـ ٧٤٨هـ- تحقيق: عمر عبد السلام التدمري- دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية- ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م،
- تاريخ خليفة بن خياط – لأبي عمرو خليفة بن خياط الشيباني تـ ٢٤٠هـ- تحقيق: د/ أكرم ضياء العمري- دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية- ١٣٩٧هـ.

- تاريخ دمشق لابن عساكر تـ٥٧١هـ – تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- التداولية عند العلماء العرب– دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي– المؤلف: د/ مسعود صحراوي– دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٥م.
- التداولية من أوستين إلى غوفمان – تأليف: فيليب بلانشيه– ترجمة: صابر الحباشة– دار الحوار، سوريا، اللاذقية، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٧م.
- التعليقة على كتاب سيبويه – لأبي على الفارسي تـ ٣٧٧هـ– تحقيق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة: الأولى– ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- تهذيب اللغة –للأزهري الهروي، أبو منصور تـ٣٧٠هـ– تحقيق:محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى– ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن – لمحمد بن جرير الطبري تـ ٣١٠هـ – تحقيق: أحمد محمد شاكر– مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى– ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي –لأبي الفرج النهرواني تـ ٣٩٠هـ –تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- الجنى الداني في حروف المعاني –لأبي محمد بدر الدين بن عليّ المرادي المصري المالكي تـ ٧٤٩هـ– تحقيق: د: فخر الدين قباوة – الأستاذ: محمد نديم فاضل– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى– ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب – لابن حجة الحموي تـ ٨٣٧هـ– تحقيق: عصام شقيو– دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة–٢٠٠٤م.
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني – لمحمد محمد أبو موسى– مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية– ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- الخصائص لابن جني –لأبي الفتح عثمان بن جني– تحقيق: محمد علي النجار– المكتبة العلمية – بلا تاريخ.
- الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه– لأبي بكر البيهقي تـ ٤٥٨هـ– تحقيق ودراسة: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، بإشراف محمود بن عبد الفتاح أبو شذا النحال– الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تـ ٩١١هـ – دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ.
- دلائل الإعجاز– لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني تـ ٤٧١هـ– تحقيق: محمود محمد شاكر ، أبو فهر– مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة– ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- سر صناعة الإعراب – لأبي الفتح عثمان بن جني تـ ٣٩٢هـ– دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى– ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي
- سنن أبي داود – لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني تـ ٢٧٥هـ– حديث رقم: ٤٨٤٣، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي– دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى–١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- السنن الكبرى – للبيهقي تـ ٤٥٨هـ- تحقيق: محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- شرح التسهيل- لابن مالك تـ ٦٧٢هـ – تحقيق: د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمٍ، المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم،لعياض بن موسى السبتي، أبو الفضل تـ٥٤٤هـ ، تحقيق :د/ يحْيَى إِسْمَاعِيل- دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى- ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- شرح مختصر خليل – محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله- دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة: بلا طبعة ، من دون تاريخ.
- شرح المفصل لابن يعيش تـ: ٦٤٣هـ- تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**-للجوهري تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا- دار العلم للملايين-١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الطبقات الكبرى – لأبي عبد الله محمد بن سعد البصري، البغدادي تـ ٢٣٠هـ- تحقيق: إحسان عباس- دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٩٦٨م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – ليحيى بن حمزة العلويّ تـ ٧٤٥هـ- المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢٣هـ.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه – لابن رشيق القيرواني الأزدي تـ ٤٦٣ هـ– تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد– دار الجيل، الطبعة: الخامسة–١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- غريب الحديث لإبراهيم الحربي – لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (١٩٨هـ – ٢٨٥هـ)، المحقق: سليمان إبراهيم محمد العايد– جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى– ١٤٠٥هـ.
- غريب الحديث لابن قتيبة – لابن قتيبة الدينوري تـ ٢٧٦هـ– تحقيق: د/ عبد الله الجبوري– مطبعة العاني – بغداد، ط : الأولى، ١٣٩٧م.
- الفائق في غريب الحديث – للزمخشري تـ ٥٣٨هـ– تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم– دار المعرفة، لبنان، الطبعة: الثانية– ١٩٧١م.
- فتح الباري– لابن حجر العسقلاني – دار المعرفة، بيروت– ١٣٧٩هـ.
- فضائل القرآن – لأَبُي العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ النَّسَفِيُّ تـ ٤٣٢هـ– تحقيق: أحمد بن فارس السلوم– دار ابن حزم، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٨م.
- فقه اللغة وسر العربية –لأبي منصور الثعالبي تـ ٤٢٩هـ– تحقيق: عبد الرزاق المهدي– إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- الكتاب– لسيبويه – لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بـ: سيبويه تـ ١٨٠هـ– تحقيق: عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الكامل في التاريخ** – لعز الدين ابن الأثير تـ٦٣٠هـ–تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري–دار الكتاب العربي–ط١–١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

- كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري – لمحمَّد الخَضِر بن سيد الشنقيطي– مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- اللَّامات – لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي تـ ٣٣٧هـ– تحقيق: مازن المبارك، – دار الفكر، دمشق، الطبعة: الثانية– ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- لسان العرب– لابن منظور – تحقيق: عبدالله على الكبير وآخرون– دار المعارف– القاهرة.
- اللمع في العربية – لأبي الفتح عثمان بن جني تـ ٣٩٢هـ– تحقيق: فائز فارس– دار الكتب الثقافية، الكويت– بلا تاريخ.
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ،تـ ٦٣٧هـ– تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر – القاهرة، ط: الثانية، ١٩٧٣م.
- مجابوا الدعوة – لابن أبي الدنيا تـ ٢٨١هـ(٤٢)، دراسة وتحقيق: الشيخ زياد حمدان– مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- **مجمل اللغة** – لأحمد بن فارس تـ ٣٩٥هـ(٩١٧) تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان– مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، عام النشر: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- المحكم والمحيط الأعظم – لابن سيده تـ ٤٥٨هـ – تحقيق: عبد الحميد هنداوي– دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- مختصر تاريخ دمشق – لمحمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور تـ ٧١١هـ – تحقيق: روحية النحاس، وآخرون– دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى– ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان– لشمس الدين أبو المظفر المعروف بسبط ابن الجوزي تـ ٦٥٤هـ– تحقيق: محمد بركات، وآخرون – دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – للسيوطي تـ ٩١١هـ –تحقيق: فؤاد علي منصور– دار الكتب العلمية– بيروت– ط: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- المطول شرح تلخيص المفتاح –للعلامة سعد الدين التفتازاني تـ٧٩٢هـ – تحقيق: عبد الحميد هنداوي–دار الكتب العلمية– لبنان–ط: الثالثة– ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)–د/ محمد حسن حسن جبل– مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.
- معجم الفروق اللغوية، – لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري تـ نحو ٣٩٥هـ– تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي– مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة: الأولى– ١٤١٢هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة – د أحمد مختار عبد الحميد عمر– بمساعدة فريق عمل– عالم الكتب– الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- **معجم ديوان الأدب**- لأبي إبراهيم إسحاق الفارابي تـ ٣٥٠هـ- تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- **المغرب في ترتيب المعرب** -لناصر بن عبد السيد المُطَرِّزِيّ تـ٦١٠هـ - دار الكتاب العربي-من دون طبعة وتاريخ.
- **مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي تـ٦٠٦هـ- دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٢٠هـ.**
- المفصل في صنعة الإعراب ص- لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري تـ ٥٣٨هـ- تحقيق: علي أبو ملحم- مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٩٩٣م.
- مقاييس اللغة - لأحمد بن فارس تـ ٣٩٥هـ- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **المقتضب** - لمحمد بن يزيد أبو العباس، المعروف بـ المبرد تـ ٢٨٥هـ- تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة- عالم الكتب، بيروت- بلا تاريخ.
- **المقفى الكبير** - لتقي الدين المقريزي تـ ٨٤٥هـ- تحقيق: محمد اليعلاوي- دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثمّ)، للدكتور: محمد أمين الخضري- مكتبة وهبة-ط: الأولى-: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - لجمال الدين أبو الفرج الجوزي تـ ٥٩٧هـ- تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- المؤتلف والمختلف –لأبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني تـ ٣٨٥هـ– تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر– دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **نتائج الفكر في النحو** – لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي تـ ٥٨١هـ– دار الكتب العلمية– بيروت– ط: الأولى: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب** –لأحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري تـ ٧٣٣هـ– –دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى– ١٤٢٣هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع– لجلال الدين السيوطي تـ ٩١١هـ– تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي– المكتبة التوفيقية، مصر، من دون ت.

فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضوعات
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	التمهيد
٤	نسبة الرواية وتوثيقها
٥	التحليل البلاغي والنقدي
٦	الدراسة التداولية
٧	تحليل رسالة أنس إلى عبدالملك
٨	تحليل رد عبدالملك على أنس
٩	تعقيب: الخصائص البلاغية التي اتسمت بها المحاورة والرسالتان
١٠	الخاتمة
١١	فهرس الآيات القرآنية
١٢	فهرس الأحاديث
١٣	ثبت المصادر والمراجع
١٤	فهرس الموضوعات